جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

آراء إميل درمنغم حول الصحابة
دراسة نقدية في
كتاب حياة محمد.

إعداد

د/ محمد عبد اللطيف عبد الخالق المراكبي.

تخصص التاريخ والحضارة الإسلامية،
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، جامعة الأزهر

(العدد السابع والثلاثون)
(الإصدار الثالث .. أغسطس)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

•

آراء إميل درمنغم حول الصحابة دراسة نقدية في كتاب حياة محمد.

محمد عبد اللطيف عبد الخالق المراكبي.

قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: mohamedalmarakeby.2034@azhar.edu.eg

الملخص:

يهدف موضوع البحث الموسوم بعنوان (آراء إميل درمنغم حول الصحابة دراسة نقدية في كتاب حياة محمد) إلى التعرف على منهجية درمنغم في كتابه، وآرائه في الصحب الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، خاصة وأن بعض المتخصصين في السيرة والتاريخ وضعوه في دائرة المستشرقين المنصفين للإسلام ورسوله، وتُرجم كتابه إلى العديد من اللغات، وطبع أكثر من مرة، ويرجع إليه المسلمون في باريس، مما يعطينا دلالة واضحة على سعة انتشاره، وترجع أهمية الموضوع إلى التعرف من خلال درمنغم على مدرسة الاستشراق الفرنسي، التي هي من أقدم مدارس الاستشراق الغربي، خاصة وأن تلك المدرسة تطرقت للعديد من الدراسات التي تتصل بالإسلام وتاريخه ورجاله الأوائل، وقد انتهجتُ في هذا البحث المنهج التاريخي القائم على التحليل والنقد، ورصد ما يقوله درمنغم عن صحابة رسول الله ﷺ، وبيان مدى صحة أقواله من خطئها من خلال المصادر الحديثية والتاريخية، محاولاً الوصول إلى المعلومات الأقرب إلى الصواب والمنطق، ورددتُ على الشبهات التي أثيرت بطريقة علمية خالية من التحامل، وقريبة من الإنصاف ما وسعني الجهد لذلك، وقد توصل البحث إلى عدة نتائج من أهمها: أن منهج درمنغم في تناول حياة النبي وصحابته فيه أخطاء منهجية كبيرة، يسوقها للأسف دون حجج أو أدلة واضحة، ويعتمد فيها على الروايات الضعيفة دون الصحيحة، كما أنه ينظر إلى الأحداث والوقائع التاريخية دون مراعاة الزمان والمكان التي حدثت فيهما، ويسوقها بمنظور عصره.

الكلمات المفتاحية: درمنغم ، حياة محمد ، منهجية، الصحابة.

Émile Dermenghem's views on the Companions: A critical study of the book The Life of Muhammad

Mohamed Abd allatif Abd alKhaleq Al-Marakeby
Department of History and Civilization, Faculty of Arabic Language, Itay El-Baroud, Al-Azhar University, Egypt.
E-mail: mohamedalmarakeby.2034@azhar.edu.eg

Abstract:

The research topic entitled (Émile Dermenghem's views on the Companions: A critical study of the book The Life of Muhammad) aims to identify Durmangham's methodology in his book and his opinions on the honorable companions, may God be pleased with them all, especially since some specialists in biography and history have placed him in the circle of orientalists who are fair to Islam and its Messenger, and his book has been translated into many languages. It was printed more than once, and Muslim scholars in Paris refer to it, which gives us a clear indication of its wide spread. The importance of the subject is due to Dermenghem's recognition of the French Orientalist school, which is one of the oldest schools of Western Orientalism, especially since that school addressed many studies related to Islam, its history, and its early men. In this research, I adopted the historical method based on analysis and criticism, and monitored what Dermenghem says about the companions of the Messenger of God, may God bless him and grant him peace and to clarify the extent of the correctness of his statements from their error from the hadith and historical sources, trying to reach the information closest to correctness and logic, and I responded to the doubts that were raised in a scientific way free of bias, and close to fairness as much as I could, and the research reached several results, the most important of which are: Dermenghem's approach to the life of the Prophet and his companions contains major methodological errors, which he unfortunately presents without clear arguments or evidence, and relies on weak rather than correct narrations. He also looks at historical events and facts without taking into account the time and place in which they occurred, and presents them from the perspective of his time.

Keywords: Dermenghem - Life of Muhammad – Methodology - Companions.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد؛

تعد مدرسة الاستشراق الفرنسي من أقدم مدارس الاستشراق الغربي، فقد ظهر بصورة واضحة وجلية في القرن التاسع عشر الميلادي، وخاصة حين عملت الحكومة الفرنسية على إنشاء المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية سنة ١٧٩٥م[١]، تلك المدرسة التي أصبحت قبلة للسفراء والتجار في بلاد المشرق وطلاب العلم في نواحي أوروبا، فازدهرت تلك المدرسة ازدهارًا كبيرا ليس في باريس فحسب، ولكن في أوروبا كلها، ونبغ فيها عدد كبير من الأساتذة والطلاب الغربيين والشرقيين، ولم يقتصر الأمر على إنشاء المعاهد والمدارس في فرنسا، بل أنشأت مدارس أخرى في الشرق وشمال إفريقيا زودت معظمها بالمكتبات والمطابع والعلماء[٢]، وقد تطرقت العديد من الدراسات الاستشراقية إلى البحث في كل ما يتصل بالإسلام وتاريخه ورجاله الأوائل.

وكانت السيرة النبوية من أهم المجالات التي نالت مكانةً كبيرةً لدى المستشرقين، وعالج البعض منهم حياة الرسول ﷺ؛ لكن هذه المعالجة لم تستند على روايات موثقة، ولم تتسم بالحياد العلمي إلى جانب الادعاءات والافتراءات على رسولنا الكريم وصحابته الأطهار، ووصفهم بأوصاف لا تتفق مع الحقائق

(١) محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، درار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت، ص٤٠.

(٢) نجيب العقيقي: المستشرقون، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٦٤ م، ج١، ص ١٥٣.

العلمية، فبعض المؤلفات الاستشراقية حاولت من طرف خفي التشكيك في النبي الكريم والرعيل الأول من صحابته الأكرمين الذين حملوا مشعل الهداية للأمة جمعاء، ومن هذه المؤلفات كتاب (حياة محمد) للمستشرق الفرنسي (إميل درمنغم) هذا الكتاب الذي ترجع أهميته إلى أنه ترجم إلى العديد من اللغات، وطبع أكثر من طبعة، مما يعطينا دلالة واضحة على سعة انتشاره، وهو ضمن الكتب التي قيل عنها: إنها خير ما صنفه مستشرق عن النبي ﷺ، ويرجع إليه المسلمون في باريس[١]، وكان من ضمن من تكلم عنهم درمنغم في مواطن كثيرةٍ في كتابة صحابة النبي ﷺ، ومن هنا جاء عنوان هذا البحث (آراء إميل درمنغم حول الصحابة دراسة نقدية في كتاب حياة محمد) حاولت أن أعرض فيه آراء وتقديرات درمنغم حول الصحابة، وتوضيح الصحيح من الضعيف، فهدفنا هو معرفة طريقة تعامله مع الصحب الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، داعيًا الله تعالى أن يكون هذا البحث لبنة في طريق البحث العلمي السليم الذي يقدم الحقائق التاريخية عن صحابة نبينا الأطهار، مع الأخذ في الاعتبار أنهم بشر يصيبون ويخطئون.

وقد دفعني للكتابة حول هذا البحث عدة أسباب منها:

أولًا: ما أقدم عليه قطاع المعاهد الأزهرية بتاريخ ١٨/٧/ ٢٠٢٣م، من منع الكتاب ورفعه من مكتبات المعاهد بالمناطق الأزهرية كافة بقرار رقم ١٨٧١٧٠/ ٢٠٢٣م، ونشر هذا القرار في العديد من الصحف والمواقع الإخبارية، فكان لزامًا علينا أن ننظر في الكتاب، لنتساءل هل ما فعل كان حقًا أم كان تجنيًا على الكتاب وكاتبه؟.

ثانيًا: أن صحابة رسول الله ﷺ يمثلون أساسًا مهمًا في تاريخ الإسلام،

(١) نجيب العقيقي: المستشرقون، ج١، ص ٢٩٧، ٢٩٨.

فالانتقاص من شأنهم أو محاولة وضعهم في دائرة النقد بالباطل دون مراعاة للمعايير العلمية لهذا الأمر من نزاهة وعلم وعدل أوجب علينا أن نَذب عنهم، وأن نعرف فضلهم ونحترم مكانتهم دون قدسية أو عصمة، خاصة إذا صور المستشرقون الأمور بصورة غير صحيحة، فمهمتنا رد الشبهات ودفع الأكاذيب وفق منهجية علمية تعيد الحق إلى أهله وترد الباطل في نحره.

ثالثًا: أن بعض المتخصصين في السيرة والتاريخ قد نظروا إلى إميل درمنغم باعتباره من أُولئك الذين أنصفوا النبي ﷺ وليس أدل على ذلك من تأثر محمد حسين هيكل ولو قليلًا بكتابته[1]، أضف إلى ذلك أننا وجدنا البعض وضعه في دائرة المستشرقين المنصفين للإسلام ورسوله[2].

رابعًا: على الرغم من الجهد الكبير الذي بذل في ترجمة الكتاب، إلا أن المترجم لم يهتم بالرد على الشبهات الواردة فيه، لذا كان لزامًا علينا أن ننظر في تلك الشبهات، وندحض المزاعم حول الصحابة خاصة مع شهرة الكتاب وتداوله.

الدراسات السابقة:

لم أعثر ـ على حد علمي ـ على بحوث مستقلة تتناول موضوع الصحابة ومنهجية درمنغم في كتاب حياة محمد، لكن جاء بحثان تناولا بعض القضايا في كتاب حياة محمد، **الأول** منهم: بعنوان: (مكة في ضوء كتاب حياة محمد للمستشرق الفرنسي أميل درمنغم دراسة نقدية)، للباحث: ميثاق عبيس حسين،

(١) محمد بن يوسف الصالحي (ت: ٩٤٢هـ/١٥٣٥م). سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م، مقدمة الكتاب ص٢٠ـ ٢٢.

(٢) حسين حسيني معدي: الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في عيون غربية منصفة، دار الكتاب العربي، دمشق، ط١، ١٤١٩هـ، ص١٢٠، ١٢١.

نشرته مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، ٢٠٢٢م، تناول الباحث فيه مدينة مكة ودورها المتميز، والمؤثرات الداخلية والخارجية التي انعكست آثارها على مكة في فترة ما قبل الإسلام، وقد أشار الباحث إلى تلك الأمور في ملخص بحثه، وجاء البحث الثاني بعنوان (السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في الفكر الاستشراقي إميل درمنغم وكتابه حياة محمد انموذجًا)، لنزار ناجي محمد، نشرته مجلة مراس، كلية العلوم الإسلامية، جامعة وارث الأنبياء، كربلاء، عدد٣، ٢٠٢٢م، تناول البحث السيدة فاطمة الزهراء، ورد على الشبهات التي أثيرت حول جمالها وحياتها، وهذا الجزء في كتاب درمنغم لا يتجاوز عشر صفحات، فهو بعيد كل البعد عما طرحناه في بحثنا المذكور.

منهج البحث.

يقوم منهج البحث على اتباع المنهج التاريخي القائم على التحليل والنقد، ورصد ما يقوله درمنغم عن صحابة رسول الله ﷺ، وبيان مدى صحة أقواله من خطئها من المصادر الحديثية والتاريخية، محاولاً الوصول إلى المعلومات الأقرب إلى الصواب والمنطق، ورددت على الشبهات التي أثيرت بطريقة علمية خالية من التحامل، وقريبة من الإنصاف متبعاً الحياد العلمي ما وسعني الجهد.

خطة البحث:

هذا وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة، وثبتٍ بالمصادر والمراجع؛ أما المقدمة: فتناولت فيها أهمية البحث، والأسباب التي دفعتني للكتابة عنه، ومنهج وخطة البحث، في حين أفردت **التمهيد** للتعريف بالمؤلف والكتاب، ثم المباحث الخمسة، وهي كالتالي، **المبحث الأول:** جاء تحت عنوان: **منهج إميل درمنغم والمآخذ عليه، والمبحث الثاني:** جاء بعنوان: **آراء درمنغم في الصحابة من آل البيت:** تناولت فيه التعريف بالصحابة والمراد بآل البيت، والحديث عن سيدنا حمزة وعلي رضي الله عنهم ،

وجاء **المبحث الثالث:** بعنوان: **آراء درمنغم حول الخلافة والخلفاء الراشدين** وفيه تحدثت عن رأيه في مسألة الخلافة، وأشخاص الخلفاء ﷺ ، وجاء **المبحث الرابع:** تحت عنوان: **آراء درمنغم في الصحابة من المهاجرين** ، وفيه تعرضت لما ذكره درمنغم عن عدد من صحابة رسول الله من المهاجرين، وجاء **المبحث الخامس:** تحت عنوان: **آراء درمنغم في الخلاف بين المهاجرين والأنصار**، وفيه عرضت لما ذكره درمنغم من مسألة السخرية بين المهاجرين والأنصار، كل ذلك في صورة نقدية، ثم أتبعت ذلك بالخاتمة، وثبت المصادر والمراجع.

والله تعالى ولي التوفيق، وهو المستعان، وعليه التكلان.

التمهيد: التعريف بالمؤلف والكتاب.

أولًا: التعريف بـ إميل درمنغم :

إميل درمنغم(Emile Dermenghem) (١٨٩٢م ـ ١٩٧١م)، ولد في مدينة باريس بفرنسا، وعلى الرغم من أن كثيرًا من المستشرقين الفرنسيين قد نالوا حظًا كبيرا من الترجمة والتعريف بهم، إلا أن درمنغم لم ينل هذا الاهتمام، فلم نعرف شيئا عن طفولته ولا عن حياته الاجتماعية إلا النذر اليسير، فمما ورد عنه بعد ولادته أنه درس اللاهوت والفلسفة في باريس، وتخصص في الأخيرة، وأجرى عدة دراسات في تاريخ المسيحية، وعمل في وزارة الخارجية الفرنسية[١] ملحقاً بالخدمة الصحفية، ومحررًا لإحدى الصحف الفرنسية، ثم كانت نقطة التحول في حياته عندما انتقل إلى الجزائر، حيث عمل مديرا لمكتبة الجزائر، وذلك في عام ١٩٤٢م، وبقى في هذا المنصب حتى تقاعده في عام ١٩٦٢م[٢]، وقد أبانت تلك الفترة عن نتاجه العلمي والفكري واهتمامه بالمشرق الإسلامي، والتي تمخض عنها العديد من المؤلفات ومنها: (قصص من فاس) (باريس ١٩٢٦م – ١٩٢٨م) بمعاونة محمد الفاسي، وكتاب يعد الوحيد في السيرة النبوية للمؤلف هو: (حياة محمد)، موضوع البحث وهو ضمن الكتب التي قيل عنها: إنها خير ما صنفه مستشرق عن النبي، ويرجع إليه العديد من المسلمين في باريس، وقد طبع (حياة محمد)الطبعة الأولى في باريس سنة (١٩٢٩م)،

(١) ميثاق عبيس حسين: مكة في ضوء كتاب حياة محمد للمستشرق الفرنسي أميل درمنغم دراسة نقدية، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، جامعة بابل، عدد١، مجلد ١٢، ٢٠٢٢م، ص٥.

(٢) نزار ناجي محمد: السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في الفكر الاستشراقي إميل درمنغم وكتابه حياة محمد انموذجًا، مجلة مراس، كلية العلوم الإسلامية، جامعة وارث الأنبياء، كربلاء، عدد٣، ٢٠٢٢م، ص٢٢٨.

والطبعة الثانية (١٩٥٠م)، كما أن له كتب أخرى منها كتاب (قصص القبيلة) (١٩٤٥م) و(أروع النصوص العربية) (باريس ١٩٥١م) (وتكريم أولياء الإسلام في المغرب) (باريس ١٩٥٤م) و(محمد والسنة الإسلامية) (باريس ١٩٥٥م) و(سيرة الأولياء المسلمين) (الجزائر ١٩٥٦م)، وله العديد من الأبحاث التي قام بنشرها منها: (تقاليد شمالي أفريقيا) نشرته المجلة الأفريقية (١٩٤٥م) و(الحرالي صوفي من القرن الثالث عشر وعالم وفيلسوف وشاعر) تم نشره في حوليات معهد الدراسات الشرقية سنة (١٩٤٨م) و(أبو بكر شبلي شاعر متصوف بغدادي) نشر بحوليات معهد الدراسات الشرقية (١٩٤٩ – ١٩٥٠م) والجمعيات السرية في الجزائر نشر المجلة الأفريقية(١٩٥٣م)[١].

ثانيًا: كتاب حياة محمد.

ترجع شهرة درمنغم كمتخصص في التاريخ الإسلامي إلى كتابين مهمين أحدهما (حياة محمد) موضوع البحث، والآخر (محمد والسنة الإسلامية)، وترجع أهمية كتاب (حياة محمد) إلى أنه أعيد طبعه عدة مرات في باريس، وكذلك ترجم إلى العديد من اللغات الأخرى مثل الألمانية والعربية[٢] والذي قام بالأخيرة الأستاذ محمد عادل زعيتر[٣] وقد ذكر ذلك د/ عبد المحسن رمضان صاحب التقديم

(١) نجيب العقيقي: المستشرقون، ج١، ص ٢٩٧، ٢٩٨، يحيى مراد: معجم أسماء المستشرقين، الناشر: دار كتب عربية، د.ط، د.ت، ص٥٠٨.

(٢) رياض العمري: مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي صلى الله عليه وسلم، عرض ونقد في ضوء العقيدة الإسلامية، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، ط١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ص ١٩٢.

(٣) إن الاستشراق الفرنسي يتناوله غالبية المسلمين من خلال الترجمة، وإذا كان هذا الأمر يدعو إلى تثبيط الهمم لما قد يطرأ في التراجم من عيوب ونقص، إلا أن ما يعزينا في هذا المقام أن صاحب ترجمة كتاب (حياة محمد) لإميل درمنغم هو (عادل زعيتر) الذي ولد =

للكتاب الذي بين أيدينا.

والجدير بالذكر أن هذا الكتاب أخذ بعد صدوره العديد من الأسماء والطبعات المختلفة، فسمى (محمد في التراث الإسلامي) وطبع سنة(١٩٢٩م) وأعيد طبعه سنة(١٩٥٥م)، أما عند ترجمته، فقد ترجم إلى الألمانية بعنوان (محمد في تصور الشهادات الذاتية والوثائق المصورة) [١]، وقد ترجمه إلى

=

في مدينة نابلس الفلسطينية (١٨٩٧م) في بيت علم ودين ورياسة، تعلم بها وببيروت وبالآستانة، وكان من ضباط الاحتياط بالجيش العثماني في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م، توجه إلى باريس بعد الحرب، فتلقى فيها الحقوق، ثم عمل في المحاماة زمناً، شغل عضو المجمعين العلميين بدمشق وببغداد، وامتاز بسعة الاطلاع والبحث والجلد والتدقيق العلمي الذي يكلف الكثير من الجهد والمشقة، وقد أثنى عليه العديد من العلماء، وأتاح له عمله في فرنسا ودراسته بها واهتمامه باللغة الفرنسية دقةً كبيرة وإتقانًا منقطع النظير في عملية الترجمة، فجاء عمله غاية في الرصانة، وهو يعد في طليعة المترجمين العرب عن الفرنسية من حيث عدد الكتب التي ترجم لها، لدرجة أنه لقب بشيخ المترجمين العرب، وقد ترجم كتاب (حضارة العرب) للمستشرق الفرنسي (جوستاف لوبون)، بل إنه ترجم أكثر من أربعين كتابًا هي خلاصة ما صنفه الفرنسيون بخاصة والغرب بعامة، وتمكن إلى جانب ذلك من علمي القانون والاجتماع، فكون هذا الأمر لديه أهم المواصفات التي ينبغي أن يتحلى بها من أراد الاشتغال بالترجمة، توفي في فلسطين عام ١٩٥٧ م. (الزركلي: خير الدين بن محمود بن فارس الدمشقي(١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م) الأعلام ، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥ ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢ م، ج٣، ص٢٤٤، يحيى جبر: عادل زعيتر وفن الترجمة(بمناسبة ٤٠سنة على رحليه) المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، عدد١٢، ١٩٩٦م ص١٢٥ـ ١٢٨.، يحيى جبر، وأحمد عبيد: تجربة عادل زعيتر في تعريب الفكر الفرنسي ضمن كتاب مؤتمر "الواقع اللغوي في فلسطين"، مطبوعات جامعة النجاح الوطنية بنابلس، ٢٠٠٦م، ص٣٨٨)

(١) رياض العمري: مناهج المستشرقين، ص ١٩٢.

العربية عادل زعيتر وطبع الطبعة الأولي سنة (١٩٤٥م) تحت اسم (حياة محمد)، بنشر مطبعة البابي الحلبي، وأخذ الكتاب أيضًا اسم (الشخصية المحمدية السيرة والمسيرة) بنفس الترجمة السابقة، الطبعة الثانية ١٩٤٩م والطبعة الثالثة ٢٠٠٥م، بنشر دار الشعاع للنشر والتوزيع المعادي، مصر، لكن الأشهر هو (حياة محمد)، وقد سمى على غراره كتب أخرى مثل كتاب (حياة محمد) للكاتب محمد حسين هيكل[١] الذي اعتمد على الكتاب المذكور، وأخذ منه نفس الاسم[٢]، وقد اعتمدت في بحثي على نسخة ورقية مطبوعة أصدرتها الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر ضمن سلسلة (ذاكرة الكتابة) الطبعة الثانية، لسنة ٢٠٠٩م.

يكشف الكتاب عن ثقافة المؤلف الواسعة، واطلاعه على أمهات كتب التراث الإسلامي، وعلى رأسها كتب السيرة والتاريخ الإسلامي، كما يكشف عن اطلاع المؤلف على بعض أعمال العلماء المسلمين المعاصرين أمثال الشيخ محمد عبده، فضلا عن أعمال كثير من المستشرقين مثل

(١) محمد حسين هيكل، ولد في قرية كفر غنام (بالدقهلية) سنة (١٨٨٨م)، وتخرج بمدرسة الحقوق بالقاهرة (١٩٠٩م) وحصل على (الدكتوراه) في الحقوق من السربون بفرنسا (١٩١٢م) كان من أعضاء المجمع اللغوي، ومن رجال السياسة والصحافة والتاريخ بمصر، ترأس تحرير جريدة السياسة اليومية (١٩٢٢م) ثم الأسبوعية. ودرّس القانون المدني في الجامعة المصرية القديمة. وكان من أركان الحزب الدستوري المناوئ لسعد زغلول وحزبه. وولي وزارة المعارف مرتين، ثم رئاسة مجلس الشيوخ من سنة (١٩٤٥ – ١٩٥٠م). وصنف كتبا، طبع منها (حياة محمد) و (في منزل الوحي) و (ثورة الأدب) و (الصِّدِّيق أبو بكر) و (الفاروق عمر) جزآن، وغير ذلك، توفي الرجل سنة ١٩٥٦م(الزركلي: الأعلام ج٦، ص١٠٧، ١٠٨)

(٢) محمد ماهر حمادة: مراجع مختارة عن حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٢٤٢.

لامنس (Lammens) [١] وغيرهم[٢]، وهو ما يظهر في ذكره لتفاصيل دقيقة في أحداث السيرة تخلو منها كثير من كتب السيرة المشهورة.

قسم درمنغم كتابه إلى بابين جعل الباب الأول: خاصًا بمكة، والباب الثاني بالمدينة، وعدد داخل كل باب فصولًا وصلت إلى أربعة وعشرين فصلاً، جعل الباب الأول عشرة فصول الأول: بعنوان سلمان الفارسي، والثاني: عام الفيل، والثالث: حرب الفجار، والرابع: خديجة، والخامس: البعثة، والسادس: التعذيب، والسابع: البعث، والثامن: إسلام حمزة وعمر، والتاسع: النصرانية والإسلام، والعاشر: عام الحزن، وجعل تحت الباب الثاني بقية فصول الكتاب، فالفصل الحادي عشر: بعنوان الهجرة، والثاني عشر: مدينة النبي، والثالث عشر: غزوة بدر، والرابع عشر: مكة تستعد للثأر، على يتزوج من فاطمة، والخامس عشر: اليهود، والسادس عشر: أحد، والسابع عشر: الخندق، والثامن عشر: رسول الله، القرآن، التوحيد، أدب الدين، أركان الإسلام، والتاسع عشر: زينب، والعشرون: عائشة وعقدها، والحادي والعشرون: الحريم، والثاني والعشرون: النصر الحديبية،

(١) مستشرق بلجيكي، ولد في سنة ١٨٦٢م ، انضم إلى الرهبانية (١٨٧٨م) وكان من أوائل خريجي جامعة القديس يوسف في بيروت حيث حصل اللغة العربية، ثم أصبح أستاذ البيان فيها، ثم تنقل شرقاً وغرباً فدرس اللاهوت في إنجلترا، وتولى إدارة التبشير في بيروت، واستقر في جامعة القديس يوسف، وعهد إليه بالدراسات الشرقية فعكف عليها، وهو شديد التعصب ضد الإسلام يفتقر افتقاراً تاماً إلى النزاهة في البحث والأمانة في نقل النصوص وفهمها، ويعد نموذجاً سيئاً للمستشرقين الباحثين في شئون الإسلام له كتب مثل: (مهد الإسلام) (مكة عشية الهجرة) (فاطمة وبنات محمد) توفي سنة (١٩٣٧م).(عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان، ط٣، ١٩٩٣م، ص٥٠٣- ٥٠٥؛ يحيى مراد: معجم أسماء المستشرقين ص٩٤٠. ٩٤٤.)

(٢) إميل درمنغم: حياة محمد، ترجمة محمد عادل زعيتر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر ضمن سلسلة (ذاكرة الكتابة) ط٢، ٢٠٠٩م، مقدمة المؤلف ص و.

خيبر، الرسائل، مؤتة، فتح مكة، والثالث والعشرون: حجة الوداع، حنين الطائف، تبوك، الإسلام.

بدأ درمنغم فصوله في الغالب إما بآية من الذكر الحكيم، أو بحديث نبوي شريف أو جزء منه، أو ببيت من الشعر، أو بقول أحد من العلماء القدامى أو المستشرقين، كما أننا وجدناه قد خصص مساحات كبيرة لموضوعات بعينها مثل النصرانية والإسلام في الفصل التاسع، في حين أنه خصص مساحات صغيرة لموضوعات أشد أهمية كانت تقتضي منه مزيدًا من التوضيح والبيان مثل حجة الوداع، ففي الفصل الثالث والعشرون وضع له عنوان حجة الوداع، تحدث فيه عن حنين، الطائف، تبوك، الإسلام.

امتاز كتاب درمنغم حقيقة بالعديد من جوانب الإنصاف والموضوعية ومنها **انتقاده للعديد من المستشرقين** الذين كانت مؤلفاتهم عامل هدم، وأن النتائج التي انتهوا إليها كانت سلبية ناقصة[١]، وعاب على البعض كرهه للإسلام ونبي الإسلام، وتشويه كتاباتهم بسبب هذا الأمر، وقد تعجب درمنغم من طرح لامنس وهو يتحدث عن القرآن والسنة وخلاصته: أن الحديث إذا وافق القرآن كان موضوعًا[٢] ورد درمنغم على لامنس في هذا الأمر فقال:" فلا أدري كيف يمكن تأليف التاريخ إذا اقتضى تطابق الدليلين تهادمهما بدلا من أن يؤيد أحدهما الآخر"[٣]، ومعنى ذلك أن ما طرحه لامنس اعترض عليه درمنغم، وبين أنه إذا توافق القرآن والسنة كان ذلك دليلًا على الصدق والحدوث وليس على الوضع.

كما امتدح الكتابُ صدق النبي ﷺ في دعوته، وكأنه يرد على أقرانه من

(١) مقدمة المؤلف ص ز.

(٢) مقدمة المؤلف ص ح.

(٣) مقدمة المؤلف ص ح.

المستشرقين الذين اتهموا النبيﷺ بتهم عديدة ومنها الصرع والخباط[١]، فقال: "حياة محمد شاهدةٌ على اعتقاده صدقَ رسالته التي حمل أمانتها الثقيلة ببطولة. وإن قوة إبداعه، وعبقريته الواسعة، وذكاءه العظيم، وبصره النافذ الحديد، وقدرته على ضبط نفسه، وعزمه المكين، وحذره، وحسن تدبيره، ونشاطه، وطراز عيشه؛ مما يمنع عَدَّ ذلك الموحَى إليه الموهوبَ الجليَّ مبتلًى بالصَّرع"[٢].

وفي الحقيقة تجد أن أغلب المستشرقين لديهم اتجاهات عدّة في قراءة التراث العربي والإسلامي؛ ولذا كانت أغلب مسالكهم واتجاهاتهم متناقضة، وكذلك النتائج التي وصلوا إليها هي الأخرى ليست متناقضة فحسب، بل هدّامة أيضا؛ لأنها ترجمت الفكر الإسلامي على غير أصله ووضعه الصحيح، بل قدم هؤلاء للغرب صورة مشوهة عن الإسلام [٣].

كما أن من جوانب الإنصاف التي ذكرها درمنغم مسألة **إنصاف الإسلام للمرأة** فكان مما قاله: "ومن المزاعم الباطلة أن يقال إن المرأة في الإسلام قد جردت من نفوذها زوجة وأما"[٤] ويضيف الكتاب أن الإسلام رفع من شأن المرأة وحسن حالها، ونهى رسوله عن تزويج الفتيات كرها، وعن أكل أموالهن بالوعيد أو عند الطلاق[٥]، كما ذكر أن القرآن الكريم نص على ميراث المرأة مع أنه لم يكن لها نصيب في الجاهلية، كما حرم وأد البنات، وأمر بمعاملة النساء

(١) مقدمة المؤلف ص ز.

(٢) حياة محمد ص ٢٢٤.

(٣) عادل النصراوي: أساسيات فهم النص القرآني ومصادر دراسته عند المستشرقين، بحث منشور بمجلة دراسات استشراقية، الصادرة عن المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، النجف العراق، عدد٧، ٢٠١٦م، ص١٢.

(٤) حياة محمد ص٢٩١.

(٥) حياة محمد ص٢٨٩

والأيتام بالعدل، وقد نهى رسول الله عن زواج المتعة، وحمل النساء على البغاء، ودلل بالأحاديث على هذا الأمر(١).

ويضيف المؤلف " كان للدعوة المحمدية في جزيرة العرب أثر عظيم ثابت في تقدم الأسرة والمجتمع والصحة؛ فقد حَسُنَ بها مصير المرأة... وحُرِّم بها الزنا والمتعة وحياةُ الغرام، ومُنع بها إكراه القِيَان على البِغاء لإثراء سادتهن. والإسلام وإنْ أباح الرق، نظَّم أحكامه، فَعدَّ فكَّ الرقاب من الحسنات ومكفِّرًا لبعض السيئات"(٢).

كما أنه نوه في كتابه على **فضل الإسلام والعرب في نشر الحضارة** وإلى أثر الإسلام في تقدمهم ومدنيتهم، فيقول: "والعرب إذ صار لهم سيد دان له الجميع، وصارت لهم روح عامة ومبدأ واحد وأصبحوا من القوة ما استطاعوا معه أن يكونوا ذوى شأن في العالم، والعرب الأعزاء مع ثيابهم الرثة وشديد بأسهم، لم يكونوا عاطلين من الرقة واللطف، وكانوا مستعدين ليرثوا الدول العالمية المتحضرة،..... والعرب كان ظهورهم في الوقت المناسب فأنقذوا العالم من الانهيار، والعرب أخذوا المصباح من أيدي البيزنطيين والفرس العاجزة، فكان دور خلفاء بنى أمية وبنى العباس الذي عد من أنضر أدوار التاريخ، والعرب لو تركت حبالهم على غواربهم ما قاموا بغير التخريب، لا ريب، ولكنهم جلبوا معهم الإسلام والمروءة حين قبضوا على زمام المدنيات القديمة التي كانت تنحل فازدهرت بفضلهم أيما ازدهار"(٣).

بل إنه ذكر سماحة الإسلام، وأشار إلى الفرق العظيم بين دخول

(١) حياة محمد ص٢٩٠

(٢) حياة محمد ص ٢٥٣.

(٣) حياة محمد ص٣٣٠.

المسلمين القدس فاتحين ودخول الصلبيين الذين ضربوا رقاب المسلمين [١]، وما أكثر ما في القرآن والحديث من الأمر بالتسامح، ولم يَروِ التاريخ أن العرب قتلوا شعبًا بأجمعه، وما دخول الناس أفواجًا في الإسلام إلا عن رغبة فيه[٢].

وبالنظر إلى الكتاب، وإلى طريقة المؤلف، فيه نلحظ أنه لم يراع الترتيب الزمني للأحداث في أغلب الأمور، ولم يتناول إميل درمنغم في كتابه السيرة بمعناها المعروف وتتابع أحداثها لكنه تصور أمورا وأغراضا معينه تعمق فيها.

كما أهمل درمنغم الإشارة إلى المصادر والمراجع التي استقى منها مجمل مادته في الكتاب فلم يشر إلى مواطن كتب الحديث أو السيرة أو التاريخ أو غيرها من الكتب أو حتى المراجع الأجنبية، اللهم إلا ما قاله في مقدمته، أنه استند إلى أقدم المصادر العربية غير غافل عما جاء في المؤلفات الحديثة[٣].

كما أنه لوحظ انعدام الوحدة الموضوعية فيما خطه درمنغم، نجده في الفصل الأول يتحدث عن سلمان الفارسي أشار إلى النصرانية ووجودها في جزيرة العرب، ثم عاود الحديث عن نفس الفكرة وهو يتناول الفصل التاسع بعنوان النصرانية والإسلام[٤] يضاف إلى ذلك أن درمنغم يكرر الفكرة الواحدة أكثر من مرة في أماكن مختلفة، بغرض تثبيتها في ذهن القارئ للتأكيد عليها.

(١) حياة محمد ص٣٣١.

(٢) حياة محمد ص٣٣٠.

(٣) مقدمة المؤلف ص هـ.

(٤) انظر درمنغم: حياة محمد ص١٥ـ وكذلك ص ١٠١.

المبحث الأول: منهج إميل درمنغم، والمآخذ عليه.

أولًا: منهج إميل درمنغم.

لقد كان للمستشرقين مناهج متعددة ومختلفة عند دراستهم للرسول ﷺ مثل المنهج المادي[١] والمنهج الإسقاطي[٢] وغيره، وبعد قراءة وتتبع كتاب حياة محمد يظهر واضحا ملامح المنهج الذي سار عليه درمنغم في كتابه، فقد اعتمد في الغالب المنهج التاريخي [٣] الذي ابتغى فيه الحصول على أكبر قدر من المعلومات، ولذلك قال:" وقد أردت بهذا الكتاب أن أؤلف سيرة ناطقة صادقة للنبي مستندًا إلى أقدم المصادر العربية غير غافل عما جاء في المؤلفات

(١) يعرف المنهج المادي بأنه المنهج الذي يجعل للعامل الاقتصادي أهمية كبيرة ورئيسية في تفسير الأحداث التاريخية (رياض بن حمد العمري: مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي، عرض ونقد في ضوء العقيدة الإسلامية، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جده، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ص٥٠٣)

(٢) يعرف المنهج الإسقاطي أنه خضوع الباحث إلى هواه، وعدم تمكنه من التخلص من التأثيرات التي تركتها لديه بيئته الثقافية، وعدم تحرره من الأحكام التي يكونها عن موضوع بحثه سواء كانت الأحكام عقلية أم انفعالية، أو بوجه آخر هو حيلة شعورية تتخلص في أن ينسب الإنسان عيوبه ونقائصه ورغباته المستكرهة ومخاوفه المكبوته التي لا يعترف بها إلى غيره من الناس أو الأشياء أو الأقدر وذلك تنزيهاً لنفسه وتحقيقًا لما يشعر به من القلق والذنب والخجل (ساسي سالم الحاج: الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، دار المداد الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٢م، ج١، ص ١٦٩، شوقي أبو خليل: الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٥، ص١٥.)

(٣) يعرف المنهج التاريخي بأنه عبارة عن ترتيب وقائع تاريخية أو اجتماعية وتبويبها والتعريف بها باعتبارها الظاهرة الفكرية ذاتها، والحصول على أكبر قدر ممكن عن المعارف والمعلومات عن الموضوع المراد دراسته(ساسي سالم الحاج: الظاهرة الاستشراقية ج١، ص ١٦٦، ١٦٧.)

الحديثة، وقد شئت أن أرسم للنبي صورة مطابقة لما وصف به في كتب السيرة ولما يجول في نفوس أتباعه ما استطعت إلى ذلك سبيلا"[١].

ومما ذكره الرجل في منهجه قوله "وقد ابتعدت لذلك عما هو ظاهر الوضع وعن المعجزات التي عزيت إلى النبي بعد وفاته بقرنين وعما هو غير محتمل"[٢].

وقد بين درمنغم[٣] الطريقة التي سار عليها خلال كتابته فقال: " وقد سلكت طريقا وسطا بين رواية المتقدمين ومغالاة بعض المستشرقين المعاصرين في النقد فعولت في كتابي هذا على المصادر القديمة والنقد الحديث".

ولهذا السبب انتقد إميل كتابات بعض المستشرقين فقال:" ومن المؤسف حقًا أن غالى بعض هؤلاء المتخصصين في النقد أحياناً فكانت مؤلفاتهم عامل هدم" كما قال: "ومن المحزن أن النتائج التي انتهى إليها المستشرقون سلبية ناقصة، ولن تقوم سيرة على النفي، وليس من مقاصد كتابي أن يقوم على سلسلة من المجادلات المتناقضة [٤].

ثانيًا: المآخذ على منهجية درمنغم في كتابة حياة محمد.

(أ) التشكيك في مصادر وأحداث السيرة النبوية.

انتهج المستشرق درمنغم منهج التشكيك في مصادر السيرة، فقال: "وأهم المصادر لتبيان حياة محمد هو القرآن وكتب الحديث لا تخلو من ميل وشبهة، ولا ريب أن كثيرا من الأحاديث التي هي أساس تناجز المذاهب الإسلامية موضوع، وقد أسندت أقوال من التوراة والإنجيل وقد عزى إليه ما يدحض به

(١) مقدمة المؤلف ص هـ.

(٢) مقدمة المؤلف ص ح.

(٣) مقدمة المؤلف ص ز.

(٤) مقدمة المؤلف ص ز.

بعض المذاهب النصرانية وقد نسب إليه ما يشك فيه من المعجزات، وهو الذي لم يقل إنه جاء بها"[١].

وهو هنا يريد أن يقول: إن أهم مصادر السيرة هو القرآن الكريم، ويشكك فيما عدا ذلك وخاصة السنة الشريفة، وهذا الكلام لا أساس له من الصحة، وقد دأب المستشرقون على القول به لإنكار أمور مهمة حدثت في سيرة رسولنا لم ترد في القرآن، فكتاب الله ليس كتابًا يعرض الأحداث بدقائقها، ولسنا هنا بصدد الحديث عن هذا الأمر[٢].

وفى موضع آخر يشير درمنغم[٣] إلى قيام كعب الأحبار بدس إسرائيليات فى السنة، فيقول: "وكان كعب اليهودي الذي حدث محمدا كثيرا من الإسرائيليات من الصحابة"

وهذا كلام لا أساس له من الصحة، فكعب أسلم بعد وفاة النبي ﷺ، في خلافة عمر رضي الله عنه، وذكره العلماء في الثقات وروى عن عمر وابن عباس رضي الله عنهم فالشهادات المنصفة لأعلام الصحابة تشهد لكعب بقوة إيمانه وصدق يقينه، وتنفي عنه كل ما وجه إليه من اتهامات بالكذب والتزييف[٤].

---

(١) مقدمة المؤلف ص هـ.

(٢) وقد تناول الدكتور فاروق حمادة في كتابه (مصادر السيرة النبوية وتقويمها) مصادر السيرة الأصلية والفرعية، وفيه أبلغ الرد على من يحاول أن يجعل من القرآن الكريم وحده مصدرا للسيرة ويشكك فيما عداه.

(٣) حياة محمد ص ١١٣.

(٤)ابن أبي شيبة: أبو بكر، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان (ت: ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م) المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩/ ١٩٩٠م، ج٧، ص٤٩، ابن حبان: أبو حاتم محمد بن حبان التميمي(٣٥٤هـ/ ٩٦٥م). الثقات: دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ط١، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ج٥، ص٣٣٣، ٣٣٤.

بل إن درمنغم[١] اتهم المحدثين (أهل الحديث) بأنهم السبب في إحداث الهوة والخلاف بين النصرانية والإسلام فقال:" ومما يستوقف النظر أن القرآن أقرب إلى النصرانية من الأحاديث، وقد يخطر على البال أن هذه القربى كانت أشد عند النظر إلى الكيفية التي جمع بها القرآن، والأمر مهما يكن فإن المحدثين هم الذين أحدثوا تلك الهوة بين الديانتين، وليست بمجهولة درجة ما في تلك الأحاديث من عوامل الميل ومواطن الشك".

وللأسف الشديد أصبح التشكيك في كتب الحديث دأب كل من يريد أن يطعن في مصادر السيرة من المستشرقين والعلمانيين ومن على شاكلتهم من أصحاب المذاهب الهدامة، وهذا يجعل من أحداث السيرة التي عرضها موضعًا للشك والظن والريبة، ووصف تاريخ السيرة النبوية بالتزوير في كثير من حقائقه، دون أدلة واضحة على ذلك.

ويحاول درمنغم[٢] التشكيك في أحداث السيرة وروايات كتب السيرة أيضا، فحين تحدث عن الأولاد الذكور للنبي قال: "وولدت خديجة لمحمد من الإناث زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة الزهراء، ومن المحتمل أن تكون خديجة قد ولدت له من الذكور "القاسم" فكان يكنى بأبي القاسم، ولا حكم للكنية وحدها في أمر الأبوة، ما عرف آباء يكنون منذ نعومة أظفارهم، والأمر مهما يكن فإن ما روت كتب السيرة وجوده من الأولاد الذكور لمحمد لم يتركوا أثرا، وقد ماتوا عند افتراض ولادتهم أطفالا".

(١) حياة محمد ص ١١٦.

(٢) حياة محمد ص ٤٧.

(ب) تأثره بالديانة النصرانية، ورد معطيات الرسالة إليها.

تأثر المستشرق إميل درمنغم[١] بالنصرانية فحين تحدث عن تحنث الرسولﷺ قال:" أخذ محمد يتحنث كما رأى زهاد النصارى ونساكهم يصنعون" وحين تحدث عن فكر النبي ﷺ وما عليه قبل الوحي قال: "اطلع محمد على أحوال النصارى في رحلاته إلى الشام، ولم يكن عدد النصارى قليلا في ضواحي مكة ولا سيما بين الموالي الذين يؤتى بهم من بلاد الحبشة فكان هؤلاء النصارى حملة للحق الذي يجهله أشراف قريش"[٢]، بل إنه تناول العديد من الشخصيات التي كانت على النصرانية مثل زيد بن عمرو، وعبيد الله بن جحش، وعثمان بن الحويرث، وورقة بن نوفل؛ ليؤكد على انتشار النصرانية وتعلم رسول الله الكثير منها[٣].

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هل وقف درمنغم عند هذا الحد من الشذرات التي تتحدث عن النصرانية؟

وللإجابة على ذلك نستطيع القول: إن درمنغم[٤] يعيد بعض الجزئيات في أكثر من موضع وما ذلك إلا للتأكيد عليها، فتجده في الفصل الأول من كتابه يقول: "كانت النصرانية تحيط بجزيرة العرب، وأصبح لها أتباع في بعض القبائل"، ثم تجده في الفصل التاسع يقول[٥]: "ومما لا مراء فيه أيضا أن النصارى الذين كانت كنائسهم تحيط بجزيرة العرب وإن لم يكن ذلك بكثرة، وأنه كان بعض القبائل يدين بالنصرانية"

(١) حياة محمد ص ٥٠.
(٢) إميل درمنغم: حياة محمد ص ٥٣.
(٣) إميل درمنغم: حياة محمد ص ٥٥.
(٤) حياة محمد ص ١٥.
(٥) حياة محمد ص ١٠١.

فبعد تلك الشذرات نجد أنه لم يقف عند هذا الحد بل تناول فصلًا كاملا في كتابه وعنون له بعنوان (النصرانية والإسلام) وإذا كان في هذا الفصل قد ذكر بعض الحقائق والأمور التي حدثت مثل هجرة بعض الصحابة إلى الحبشة، وما حدث بينهم وبين النجاشي، فإنه وبدون أدنى شك قد ظهر التأثير النصراني عليه ولا مشكلة في هذا الأمر، أما أن يحاول أن يكون لها أثر في الإسلام فهذا أمر مرفوض، فنجده يقول" ومما لا مراء فيه أن كان للنصرانية أثر في محمد، وأن أيقظ حنفاء العرب كزيد بن عمرو ورهبان النساطرة كبحيرا(الذي نرى في قصته بعض الحقائق مع ما أضفت كتب السيرة عليها من روح الأساطير) ونصارى مكة كورقة بن نوفل شعوره الديني قبل بعثته"[(١)]، ومما قاله أيضا في مسألة تأثر الإسلام بالنصرانية: "وقد استطاع محمد أن يتعرف على عدد غير قليل من النصارى بمكة كالموالي الذين كان أكثرهم من الأحباش وبأناس من الروم والأقباط وعرب القبائل النصرانية، وكان يجلس في الغالب بالقرب من جبر الرومي الذي كان يصنع السيوف في المروة مع رفيقه يسار الرومي لحساب سيدهما عامر بن الحضرمي"[(٢)].

وقد أراد درمنغم أن يدلل على أخذ الرسول ﷺ من النصرانية بتأكيده على أن كنائس النصارى تحيط بجزيرة العرب، وأن بعض القبائل يدين بالنصرانية، وأن النصارى كانوا كثيرين في مكة، فكانت لهم مقبرة فيها، بل إنه ذكر أن بعض الأشخاص القربيين من رسول اللهﷺ كانوا يدينون بالنصرانية [(٣)] ليؤكد على أن النبي ﷺ تعلم وأخذ أصول دينه من حنفاء العرب الذين كانوا يدينون بالنصرانية.

كما أنه ذكر عطف محمد على النصارى، وثناءه على القسيسين والرهبان

(١) حياة محمد ص ١٠٠.

(٢) إميل درمنغم: حياة محمد ص ١٠١.

(٣) إميل درمنغم: حياة محمد ص ١٠١.

الذين رأى فضائلهم في تخوم الشام، وفرحه وسروره بانتصار الروم على الفرس، وما أسفر عنه من عدم هدم الكنائس وبيعه، ومجاملة محمد للنصارى، وإباحته نكاح النصرانيات(١).

وكأني بالرجل مع تأكيده على هذا الأمر مرارًا وتكرارًا يريد أن يقول: إذا كان هذا التقارب موجودًا فلا حاجة لنا بالإسلام، وأن على الناس أن تعلم أن النصرانية اليوم على حق، وأنه لم يحدث فيها تبديل أو تحريف.

ويرد على ذلك بأسئلة عديدة: إذا كان القرآن منقولا عن ورقة بن نوفل أو عن بحيرا، فلماذا لم ينسبه كل منهما إلى نفسه؟ ولم أمكنوا محمدًا دون غيره من هذا الأمر؟ وهل كانت قريش ستصمت عن أمر كهذا خاصة وأن ذلك فيه منقصة لمحمد ﷺ؟ والثابت أن النبي لم يلتق ببحيرا إلا مرة واحدة، وكان عمره اثنى عشر عامًا، بل أزيد فأقول: إن البعض قد نفى تمامًا أن يكون رسول الله ﷺ وهو في صباه قد التقى ببحيرا، وأن القصة المشهورة باطلة، ولم تحدث على الإطلاق وهي منكرة جدا(٢)، وإن كنت أميل إلى الرأي الآخر الذي يرجح حدوث القصة والتقاء النبي ببحيرا(٣) مع ما وجد في متن القصة من نكارة(١)، لكن مع

(١) إميل درمنغم: حياة محمد ص ١٠٥، ١٠٦.

(٢) الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، (ت٧٤٨هـ/١٣٤٨م). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٣ هـ -١٩٩٣م، ج١، ص٥٧.

(٣) الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك (ت: ٢٧٩هـ/٨٩٢م) سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب ما جاء في بدء نبوة النبي ﷺ، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت،١٩٩٨م، ج٦، ص٢٠، عقب عليه فقال: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، الحاكم: محمد بن عبد الله النيسابوري، (ت: ٤٠٥هـ/١٠١٤م)" المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفي عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ج٢، ص٦٧٢، علق عليه الحاكم =

ذلك يستحيل من الناحية العقلية أن ينتج عن هذا اللقاء العابر بين النبي وبحيرا كل هذا الفيض المعجز البليغ في هذا الوقت المحدود، ولو فرضنا أنه ﷺ تعلم من بحيرا وورقة بعض أخبار السابقين، فماذا عن الآيات التي نزلت بخصوص أحداث حدثت بعد وفاة بحيرا وورقة بزمن طويل، فعالجها القرآن فى حينها، كتلك الآيات التى تتحدث عن غزوة بدر وأحد والخندق والأحزاب وتبوك وانتصار الروم على الفرس، و لو كان لهؤلاء نصيب في تعليمه ﷺ لقامت الدنيا ولم تقعد من قبل اليهود والنصارى، ولسهل عليهم تكذيب محمد فيما يدعيه بزعمهم؛ لأنهم هم الذين علموه وتلقى عنهم العلوم، وكانت عندهم الحجة في ذلك، ولكن شيئا من هذا لم يحدث.

ثم إن الروايات التي بلغت أعلى درجات الصحة في النقل تثبت أن النبي لم يلتق بورقة إلا بعد أن نزل عليه الوحي، وأن السيدة خديجة رضي الله عنها ذهبت بالنبي ﷺ حين بدأه الوحي إلى ابن عمها، ولذلك كان موقف ورقة موقف المستمع والمستطلع لما حدث لا موقف المعلم، ولو علمه ورقة لكان على مرأى ومسمع من قريش، ولما قص الرسول قصصه قال: هذا هو الناموس الذى أنزله

=

فقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(١) وردت القصة بإسناد رجاله ثقات من حديث أبي موسى الأشعريّ أخرجها الإمام التّرمذيّ وغيره، وزاد فيها لفظة منكرة، وهي قوله: (وأتبعه أبو بكر بلالا) والسبب أن أبا بكر حينئذ لم يكن متأهّلا، ولا اشترى بلالًا، إلا أن يحمل على أن هذا الكلام مقتطع من حديث آخر أدرجت في هذا الحديث، وفي الجملة هي وهم من أحد رواته ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٩م) الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ، ج١، ص٤٧٦.

الله على موسى عليه السلام، ثم تمنى أن يكون شابا فيه حياة وقوة ينصر بهما الرسولﷺ ويؤازره حين يخرجه قومه، ولم تذكر هذه الروايات الصحيحة أنه ألقى إلى الرسول عظة أو درس له درسا في العقائد أو التشريع، ولا أن الرسول كان يتردد عليه كما يتوهمون أو يوهمون. فأنى لهم ما يقولون؟ وأي منصف يسمع كلمة ورقة هذه ولا يفهم منها أنه كان يتمنى أن يعيش حتى يكون أحد أتباع النبي الكريم، وجنديا مخلصا فى صفه ينصره ويدافع عنه فى وقت المحنة؟ ولكن دأب المستشرقون على قلب الحقائق، وإيهام الناس أن ورقة وبحيرا وغيرهم هم الأستاذة الذى استقى منهم محمد تعاليمه ودينه، ألا ساء ما يزرون.

ومما لا شك فيه أن هناك أوجه تشابه بين ما ورد في التوراة أو الإنجيل، وما ورد في القرآن الكريم، لكن هذا التشابه لا يعود إلى كون النبيﷺ اقتبس تلك الصور عنهما، وإنما لكون الأصل واحدا، فالعقائد الدينية واحدة والشرائع هي التي تختلف، هذا الأمر يؤدي بالطبع إلى أن يلتقي الوحي الإلهي للأنبياء جميعا في بعض الجوانب(١).

(ج) اعتماد الضعيف والتشكيك في الثابت، والتعامي عن الدليل.

اتبع المستشرق درمنغم منهج التشكيك في الثابت، والتعامي عن الدليل الواضح والظاهر حول سيرة الرسول ﷺ، وهذا بالأساس يتجه نحو التقليل من أهمية الأحداث الهامة التي عرفها المسلمون وتلقوها بالقبول.

فنجد أن درمنغم(٢) تحدث عن حادثة الفيل وشكك فيما حدث، فكان مما قاله: " فمما يروى أن الفيل امتنع عن السير إليها، وأن وباء الجدري فتك بالجيش فتكاً ذريعاً، فأمر أبرهة من بقي منه بالعودة. وقد عزت القصة البثور إلى حجارة

(١) أكرم العمري: موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، كلية الدعوة، د.ط، د.ت .ص٦٣، ٦٤.

(٢) حياة محمد ص ١٩، ٢٠.

رمتها طير أبابيل"

وهو بذلك قد ناقض نفسه حين أكد في بداية كتابه أن القرآن أهم مصدر لبيان حياة محمد(١)، ثم خالف صريح القرآن الكريم الذي ذكر الطير الأبابيل في سورة الفيل، والتي كانت سببًا في هزيمة جيش أبرهة، وقد اعتمد درمنغم على رواية تقول: أن ظهور الحصبة والجدري كان في عام الفيل(٢)، مع أن تلك الرواية التي اعتمد عليها درمنغم لم تنفِ الطير الأبابيل الذي أهلك جيش أبرهة.

ولا مانع أن يكون الجيش قد أصابه الحصبة والجدري بسبب الجراح، والقيح، والصديد، كما هو معروف من انتشار بعض الأمراض والأوبئة عقب الحروب والجائحات؟! وفي النهاية لا يصح أن يرجّح رأيًا ضعيفًا يعارض القرآن على رأي صحيح يشهد له ظاهر القرآن!!(٣).

كما أن درمنغم(٤) شكك في حادثة شق الصدر حيث قال: "والذي أراه أن هذه القصة نشأت من قول الله تعالى:" أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك"، وأن هذه العملية أمر باطني قام على تطهير ذلك القلب ليتلقى رسالة الله عن حسن نية، ويبلغها بإخلاص تام، وأن أسطورة شق الصدر ذات مغزى فلسفي لما تشير إليه تلك الدرنة السوداء من الخطيئة الأولى التي لم يعف منها غير مريم وعيسى ولما يدل عليه من معنى الورع الصوفي".

---

(١) مقدمة المؤلف ص هـ.

(٢) ابن إسحاق: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي: سيرة ابن إسحاق=كتاب السير والمغازي:(ت: ١٥١هـ/٧٦٨م)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م، ص٦٥

(٣) محمد أبو شهبة: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، دار القلم، دمشق، ط٨، ١٤٢٧هـ، ج١، ص١٧٠.

(٤) حياة محمد ص ٣٠.

كما أنه شك في حادثة الاسراء والمعراج وذلك عن طريق ذكره للأساطير في رواية الإسراء والمعراج والتي لا يصدقها عقل[١] ـ على حد قوله ـ ثم بعد ذلك يقول: "ويبدو لنا أن ما دار حول ذلك من الجدل الذي ملأ المجلدات لا يعدو حد اللغو ما دمنا لا نرى للمعراج ما يمتاز به عن رؤى النبي التي صحت روايتها والتي لم تصح"[٢].

ومعنى ذلك أن الرجل لا يصدق بالمعجزات الحسية التي وقعت لرسول الله ﷺ، فهو يعرض الأمر على عقله، شأنه في ذلك شأن بقية المستشرقين، مع أنه من وجهة نظري كان أحسن حالا منهم، فقد أقر أن الإسراء وقع بالجسد والروح، والمعراج وقع بالروح فقط.

لقد أراد درمنغم[٣] تشكيك الناس في مسألة الوحي، وأنه من الإلهام والوحي النفسي الذي يتأتى للناس بعد صفاء ذهنهم ونظرهم وتأملهم وقوة إبداعهم، ولذلك قال: "وهل يتطلب سماع أصوات ما وراء الكواكب غير قلب نقي ونفس صادقة وروح مستعدة؟" بل إنه ذكر مُكْثَ رسول الله في غار حراء، ووصفه بالتأمل الهادئ الخاص، والغاية من ذلك التأمل الطويل هو كما قال:" يطهر النفس وينبه روح المعاينة ويؤدي إلى كشف ما وراء الحجب ويحث على العمل عند الضرورة، وقد استطاع أكابر المتأملين أن يكونوا من المبدعين الذين لم يملوا، والتأمل الصحيح يحمل بذور الحركة والتحرر من الهوى الطارئ"[٤]

فنجده يقول: "وأضحى لا يأبه تعاقب الليل والنهار وجعل يقضي طويل الساعات جاثيا في ظلام الغار أو مستلقيا تحت وهج الشمس أو سائراً بخطى

(١)إميل درمنغم: حياة محمد ص ١٢٨، ١٢٩.

(٢)إميل درمنغم: حياة محمد ص ١٣١.

(٣) حياة محمد ص ٥١.

(٤) إميل درمنغم: حياة محمد ص ٥٢.

واسعة في الشعاب، وكان كلما سار خيل إليه أن أصواتا تخرج من الحجارة، فإذا ما تعثر بحجر ارتد والحجارة كثيرة تحت الشمس والحجارة تحييه قائلة (السلام عليك يا رسول الله)[١] **ثم يضيف** "وكان يبدو في بعض الأحيان غير شاعر بما حوله مغشيًا عليه خفي النفس، ثم يظهر نائما منتظم النفس هادئا ثم خافق القلب فيرى في منامه رجلاً صافا قدميه في أفق السماء يدنو منه باسطا ذراعيه ليقبض عليه"[٢] وينتهي درمنغم[٣] إلى القول: "أصبح محمد بعد ستة أشهر نحيفاً منهوك الجسم غير منتظم الخطا أشعث الشعر واللحية غريب النظرات، فأخذ يقنط هل أصابه مس فأضحى ألعوبة بأيدي قوى الشر الكريهة؟'

وهكذا يصور درمنغم ـ وهو من المستشرقين الموسومين ببعض الإنصاف حسب ما يراه البعض ـ شخص الرسول ﷺ في أثناء فترة نزول الوحي، وكأنه يعاني من الوساوس والتخيلات والأحلام والاضطراب النفسي كذلك.

وينبغي أن يدرك درمنغم وغيره من المستشرقين أن الوحي، والغيب، والروح، من عصب السيرة وسداها ولحمتها، وليس بمقدور العقل أن يدلي بكلمته فيها إلا بمقدار، وتبقى المساحات الأكثر عمقا وامتدادا، بعيدة عن حدود عمل الحواس وتحليلات العقل والمنطق[٤].

وفي الحقيقة جاء الرد على تلك الشبهة التي رددها درمنغم وغيره من المستشرقين من العديد من علماء المسلمين، وذلك لأن مسألة الوحي تتعلق بعقيدة المسلم، وكانت أهم الكتب التي تناولت الرد على تلك الشبهة كتاب الوحي

(١) إميل درمنغم: حياة محمد ص٥٦، ٥٧.

(٢) إميل درمنغم: حياة محمد ص٥٧.

(٣) حياة محمد ص٥٧.

(٤) عماد الدين خليل: المستشرقون والسيرة النبوية، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٢٦ هـ، ص٧.

المحمدي للسيد محمد رشيد رضا[١].

وقد استخدم درمنغم[٢] وهو يتحدث عن الوحي أسلوب المكر والخداع، فهو يضفي على النبي صفات عديدة من الأمانة والإخلاص، ثم يدس السم في العسل بأن تلك الصفات مجتمعة هي التي أدت إلى ما يمكن أن يسمى بالوحي النفسي.

ولم يقف الأمر عند التشكيك في المعجزات الحسية والوحي النفسي، وإنما تجاوز ذلك ليستعين بأضعف الروايات التي لا أساس لها من الصحة، ومن ذلك حين تحدث درمنغم[٣]عن مسألة زواج النبي بالسيدة خديجة رضي الله عنها قال: "ومما يروى أن أباها (أو عمها) كان ثملا حينما وافق على زواجها منه، فقد كان ذلك بعد أن أطعمته وسقته خمرا وأصبح لا يعي ما يقول"

ولم يكلف درمنغم نفسه البحث حول صحة ما يدعي فإذا كان هذا الخبر قد ورد في بعض كتب السنة[٤] والسيرة إلا أنه ثبت ضعفه، فهذه الرواية لا يقبلها

(١) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م، ص٥٩، ٩٨.

(٢) حياة محمد ص٥٦.

(٣) حياة محمد ص٤٣.

(٤) عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ " ذكر خديجة، وكان أبوها يرغب أن يزوجه "، فصنعت طعاما وشرابا، فدعت أباها ونفرا من قريش، فطعموا وشربوا حتى ثملوا، فقالت خديجة لأبيها: إن محمد بن عبد الله يخطبني، فزوجني إياه. فزوجها إياه فخلقته وألبسته حلة، وكذلك كانوا يفعلون بالآباء، فلما سري عنه سكره، نظر فإذا هو مخلق وعليه حلة، فقال: ما شأني، ما هذا؟ قالت: زوجتني محمد بن عبد الله. قال: أنا أزوج يتيم أبي طالب لا، لعمري. فقالت خديجة: أما تستحي تريد أن تسفه نفسك عند قريش؟ تخبر الناس أنك كنت سكران؟ فلم تزل به حتى رضي، (ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ/ ٨٥٥م): المسند، مسند عبد الله بن العباس، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، وآخرين إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ج٥، ص٤٥، ٤٦) وقد علق عليه شعيب الأرناؤوط فقال: حديث ضعيف.

العقل، فالسيدة خديجة معروفة في قومها أنها من الأطهار صاحبة العقل الحكيم، فهل من المعقول أن يبلغ الإسفاف بها أن تسكر أباها أو عمها حتى يوافق على زواجها بمحمدﷺ!! وكأن محمدًاﷺ من العبيد، أو كان في فقر مدقع، أو في مكانة مزرية كما يحلو لدرمنغم أن يدعي فيقول: "ولم يتم لخديجة ما عزمت عليه بغير مقاومة، فلم يرق أسرتها أن تراها وهي غنية حليفة لبني مخزوم، تتزوج يتيماً فقيراً غامض الأمر من عشيرة دون عشيرة بني مخزوم قدراً" مع أنه ﷺ كان من زينة شباب قريش ومن أرفعهم نسبًا ومن أحسنهم أمانة وأخلاقًا، وهو ما رغب السيدة خديجة في الزواج منه.

بل لو نظرت إلى المصادر التي أوردت هذا الخبر ستجد أن ابن سعد أورد في طبقاته[1] هذا الأمر فقال: "أخبرنا محمد بن عمر بغير هذا الإسناد أن خديجة سقت أباها الخمر حتى ثمل، ونحرت بقرة، وخلقته بخلوق، وألبسته حلة حبرة، فلما صحا قال: ما هذا العقير؟ وما هذا العبير؟ وما هذا الحبير؟ قالت: زوجتني محمدا. قال: ما فعلت! أنا أفعل هذا وقد خطبك أكابر قريش فلم أفعل؟" ثم عقب ابن سعد على هذا الكلام فقال: "قال محمد بن عمر: فهذا كله عندنا غلط ووهم، والثبت عندنا المحفوظ عن أهل العلم أن أباها خويلد بن أسد مات قبل الفجار. وأن عمها عمرو بن أسد زوجها رسول الله –ﷺ"

وابن سعد هنا لا يتحدث عن مسألة أبيها أو عمها فحسب، لكنه يعقب على الحادثة برمتها، ثم لك أن تنظر أيها القارئ الكريم إلى متن الرواية ستجد أن بها أمورًا منكرة يأباها العقل مثل أنها نحرت بقرة، وألبست أباها حلة، والسؤال الذي يطرح نفسه كم يستغرق هذا من الوقت؟ أما كانت تخشى أن تتكشف

(١) أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري (ت :٢٣٠هـ / ٨٤٥م). تحقيق، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ج١، ص ١٠٦.

خدعتها فيوقف الزواج كليةً!!

والذي تطمئن إليه النفس هو ما ذكره ابن سعد[١] عن محمد بن عمر أن نفيسة بنت منية صديقة خديجة هي من توسطت في هذا الزواج ورغبت رسول اللهﷺ فيه، وبعد ذلك زوجها عمها عمرو بن أسد بعد ثنائه على رسول الله قائلاً: هذا البضع لا يقرع أنفه.

ويغلب على الظن أن الرجل(درمنغم) يريد أن يؤكد سياسية المؤامرات في حياة النبي قبل بعثته، بزواجه من السيدة خديجة، وأن هذا الأمر تطور مع الوقت والزمن حتى أصبحت الدولة تدار بسلسلة من المؤامرات، وأصبح هذا دأب الصحابة فيما بعد.

كما نجد أن درمنغم ينساق كما انساق كثير من المستشرقين في إيراد الضعيف والشاذ، من ذلك إفراده فصلا كاملا للحديث عن زواج النبي بزينب بنت جحش، متهما رسولنا الكريم بأنه مال بشدة إلى النساء في العقد الأخير من عمره، وبأنه ذهب لبيت زيد بن حارثة ورأى زينب سافرة وشبه عارية وعاملة على زينتها، فأثر هذا الجمال الغض الفياض في نفس النبي.[٢]

وفي الحقيقة فقد أجاد كثيرٌ من علمائنا القدامى والمحدثين في الرد على تلك الفرية، بل ظهرت العديد من الأبحاث المستقلة[٣] التي تناولت هذا الأمر وبينت ضعف تلك الروايات، وما أعظم ما ذكره الإمام ابن كثير[٤]وهو العالم المحقق المدقق أن الآثار التي وردت في هذا الشأن ضرب عنها صفحا لعدم

(١) الطبقات الكبرى: ج١، ص ١٠٥.

(٢) إميل درمنغم: حياة محمد ص٢٦٢، ٢٦٣.

(٣) للمزيد: أحمد رمضان دياب: قصة زواج النبي ﷺ بالسيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها بين الدخيل والأصيل في التفسير، بحث منشور في مجلة قطاع أصول الدين بالقاهرة جامعة الأزهر، عدد١١، ج١، ٢٠١٦م.

(٤) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م): تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، ج٦، ص٣٧٨.

ورودها وصحتها، وقد ذكر الشيخ محمد أبو شهبة[١] الرد على هذا الأمر، وكان مما قاله: "وقد نسج المستشرقون، والمبشرون، أعداء الدين، من تلك الروايات المختلقة الواهية ثوبا من الكذب والخيال، وصوروا السيدة زينب وقد رآها النبي الطاهر، كما يصور الشباب الطائش إحدى غادات المسرح، وطعنوا في غير مطعن، فالروايات ليس لها أساس من الصحة فبناؤهم على غير أساس"

وتحدث الكاتب محمد حسين هيكل[٢] عما خطه درمنغم وغيره في هذا الأمر فقال: "ويطلق المبشرون والمستشرقون لخيالهم العنان حين يتحدّثون من تاريخ محمد في هذا الموضوع، حتى ليصوّر بعضهم زينب ساعة رآها النبيّ وهي نصف عارية أو تكاد، وقد انسدل ليل شعرها على ناعم جسمها الناطق بما يكنّه من كل معاني الهوى .... وأمثال هذه الصورة التي أبدعها الخيال كثير، تراه في موير، وفي در منجم، وفي واشنطن إرفنج، وفي لامنس وغيرهم من المستشرقين والمبشرين".

وبذلك يتبين أن درمنغم حذا حذو غيره، في الاعتماد لا أقول على الضعيف فحسب وإنما الشاذ والموضوع أيضا، ولا استغرب هذا الأمر منه، لأنه إن لم يفعل ذلك سيكون باحثا أمينًا محايدا، والسير في ضوء هذه الأمور لا طاقة لدرمنغم والمستشرقين بها خاصة إذا تعلق الأمر برسول الإسلام وأصحابه.

(١) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة، الدار السلفية لنشر العلم، مصر، ط٤، ١٤٠٨هـ، ص٣٢٥- ٣٢٦.

(٢) حياة محمد، دار المعارف، مصر، ط١٤، د.ت، ص٣٢٧.

(د) التناقض لدى إميل درمنغم.

جاء كتاب إميل درمنغم متناقضًا إلى حد كبير، نتيجة للتخبط الذي عانى منه، ونتيجة لأمور غير موضوعية في كتابه، ومن خلال النظر في الكتاب تم رصد العديد من التناقضات التي وقع فيها درمنغم.

فحين تحدث عن القرآن زعم أن هناك تحريفًا للقرآن الكريم، بل وألمح من طرف خفي إلى أن هناك آيات من مصحف عثمان حذفت(١)، وذكر أنه لم يرتب ترتيبًا منطقيًا وأن فيه تكراراً للآيات وحشرًا لها في غير موضعها، ويلمح إلى إمكانية تحريف القرآن عبر تساؤل يطرحه فيقول(٢): "وكيف يعرف في القرآن وجود تحريف وحواش وحذف وإلى أي حد؟ وكيف تكتشف في القرآن آيات لم تكن من غير الأحاديث التي نطق بها محمد كبشر لا من الكلام الموحى إليه كنبيّ"، ويسوق أدلة على إمكانية تحريف القرآن، فيقول(٣)" يرى جعفر أن القرآن كان شاملا لأسماء سبعة رجال من قريش وأنه لم يبق منها سوى اسم أبى لهب، وتدعي الشيعة أن أهل السنة حذفوا من القرآن ما يناسب عليا من الآيات، وكان أحد كتاب الوحي عبد الله بن سعد بن أبى السرح يتلهى بتبديل ما كان يمليه النبي عليه".

وفى نهاية الأمر يناقض المؤلف نفسه فيقرر ويقول "ونحن نرى أن نصوص القرآن صحيحة على العموم مع اختلاط آية. وفى الأحاديث، على الخصوص، ما كان التحريف الجرئ"(٤).

(١) إميل درمنغم: حياة محمد ص١١١، ١١٢.

(٢) إميل درمنغم: حياة محمد ص٢٤٩.

(٣) إميل درمنغم: حياة محمد ص٢٤٩، ٢٥٠.

(٤) إميل درمنغم: حياة محمد ص٢٥٠.

وفي نفس السياق أكد درمنغم[١] على أن المسلمين استندوا في بعض اعتقاداتهم إلى آي القرآن الغامضة، مع أنه نفسه[٢] هو الذي ذكر وأكد على أن القرآن هو أهم المصادر وأصحها.

كما أن من التناقض الذي وقع فيه درمنغم[٣] مدحه لبعض المستشرقين، فقال: "ثم جد في البحث العلمي بعض العلماء في القرن التاسع عشر" وعدد كثيرا منهم، ومدح أحدهم وهو الأب لامنس وعده من أفضل المستشرقين المعاصرين،[٤] ثم تجده ينتقد المستشرقين ويتهمهم بأن نتائجهم كانت سلبية ناقصة،[٥] ثم ينتقد الأب لامنس بعد مدحه مباشرة، فيقول عنه: "أنه من أشد المستشرقين تعصبًا وأنه شوه كتبه الدقيقة وأفسدها بكرهه للإسلام ونبي الإسلام"[٦].

وفي الحقيقة فإن درمنغم يدعي الإنصاف والموضوعية إلا أن ما كتبه لا يؤيد ذلك، فقد وصف الأب لامنس بالتعصب وغير ذلك من الأمور، ثم تراه تأثر به تأثرا كبيرا، فقال "والأمر مهما يكن فإن كتب الأب لامنس ذات قيمة وقد انتفعنا بما جاء فيها عن مهد الإسلام وتاريخ مكة في كتابة الفصل الثاني والفصل الثالث على الخصوص"[٧] وفي وجهة نظري أن الأمر لم يقف عند هذا الحد، فالفصل الثاني والثالث يتحدثان عن عام الفيل وحرب الفجار، إلا أننا

(١) حياة محمد ص١١١.
(٢) مقدمة المؤلف ص هـ.
(٣) مقدمة المؤلف ص و
(٤) مقدمة المؤلف ص ح
(٥) مقدمة المؤلف ص ز
(٦) مقدمة المؤلف ص ح
(٧) مقدمة المؤلف ص ح

وجدنا أن درمنغم تأثر بالأب لامنس في أكثر من ذلك، ففي الفصل الرابع عشر تحدث عن زواج على من فاطمة رضي الله عنهم، واتهم السيدة فاطمة رضي الله عنها باتهامات عدة، وهذه الاتهامات يبدو أنه استقاها من كتاب لامنس (فاطمة وبنات محمد).

المبحث الثاني: أراء درمنغم في الصحابة[١] من آل البيت.

تحدث المستشرق إميل درمنغم عن آل بيت النبيﷺ من الصحابة، وما تكلم به للأسف مملوء بالمغالطات والتهم لآل بيت رسول اللهﷺ، وخاصة حمزة وعلىرضي الله عنهما، وفيما يلي الحديث عن تلك الأمور.

(أ)المراد بآل البيت.

لقد تحدث ابن قيم الجوزية[٢] عن آل البيت واختلاف العلماء فيهم على

(١) المراد بالصحابة: والصحابة بالفتح: (الأصحاب)، وهو في الأصل مصدر وجمع الأصحابِ أصاحيبُ. وقولهم في النداء يا صاحِ، معناه يا صاحبي. وأصحبته الشيء: جعلته له صاحبا. واستصحبته الكتاب وغيره. وكل شيء لاءَمَ شيئاً فقد استصحبه. واصطحب القوم: صحب بعضهم بعضها، وهو يقع على من صحب أقل ما يطلق عليه اسم صحبة، فضلا عمن طالت صحبته، وكثرت مجالسته (الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت: ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧ م، ج١، ص١٦١، ١٦٢، السخاوي: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن (ت: ٩٠٢هـ/١٤٩٧م) فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي، تحقيق: علي حسين علي، مكتبة السنة، مصر، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ج٤، ص٧٨) أما تعريف الصحابي من ناحية الاصطلاح فهو" من لقي النبيّ ﷺ مؤمنا به، ومات على الإسلام، فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى"، وهذا التعريف ذكره ابن حجر بعد استقراء العديد من أقوال العلماء(ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص١٥٨).

(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت: ٧٥١هـ/١٣٥٠م) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة، الكويت، ط٢، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م، ص٢١٠ـ ٢٢٣.

أربعة أقوال الأول: أنهم هم الذين حرمت عليهم الصدقة، على اختلاف بين العلماء أنهم بنو هاشم وبنو المطلب، أو أنهم بنو هاشم خاصة، أو أنهم بنو هاشم ومن فوقهم إلى غالب فيدخل فيهم بنو المطلب وبنو أمية وبنو نوفل ومن فوقهم إلى بني غالب، القول الثاني أنهم ذريته وأزواجه خاصة، الثالث أنهم أتباعه إلى يوم القيامة، الرابع أنهم الأتقياء من أمته، وقد ذكر حجج هذه الأقوال، وبين ما فيها من الصحيح والضعيف، ورجح الإمام ابن قيم القول الأول مستدلا على ذلك بالعديد من الأدلة الصحيحة منها، عن أبي هريرة ﷺ قال "كان رسول الله ﷺ يؤتى بالتمر عند صرام النخل فيجيء هذا بتمره وهذا من تمره حتى يصير عنده كوما من تمر، فجعل الحسن والحسين ﷺ يلعبان بذلك التمر فأخذ أحدهما تمرة فجعله في فيه، فنظر إليه رسول الله ﷺ فأخرجها من فيه، فقال أما علمت أن آل محمد ﷺ لا يأكلون الصدقة".(١)

وفي صحيح مسلم(٢) عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا، بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ...ثم قال: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي،

(١)الإمام البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت: ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه = صحيح البخاري، كتاب: الزكاة، باب: أخذ صدقة التمر عند صرام النخل وهل يترك الصبي فيمس تمر الصدقة، رقم الحديث،١٤١٤، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، ١٤٠٧ هـ /١٩٨٧م، ج٢، ص٥٤١.

(٢) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري(ت٢٦١هـ/٨٧٥م) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ= صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب: فضائل الصحابة رضى الله تعالى عنهم، باب من فضائل علي بن أبي طالبت، ج٤، ص١٨٧٣.

أذكركم الله في أهل بيتي» فقال له حصين: ومن أهل بيته؟ يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم.

وهناك آراء أخري معتبرة منها رأي الإمام السيوطي[١] حين قال: "والحاصل أن لأهل البيت إطلاقات، أخصها انصرافه إلى بني هاشم والمطلب وهم الآل الذين تحرم عليهم الزكاة بالأصالة، والثاني شموله لأزواجه ﷺ أيضا، وهو أعم من الأول، والثالث شموله لمطلق الذرية وإن لم يثبت لهم النسب، كأولاد البنات وإن سفلن، ولمطلق القرابة سواء كانت من قبل الرجال أم من قبل النساء، وهذا أعم من الأولين، والرابع شموله للموالي أيضا وهو أعم من الثلاثة" .

(ب) حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه .

تحدث درمنغم في ثنايا كتابه عن آل بيت النبيﷺ، وسنعرض لآرائه في هذا الشأن، فكان مما ذكره ضمنًا عم النبي حمزة بن عبد المطلب، حين تحدث عن تجهيز علي رضي الله عنه للزواج بفاطمة بنت رسول اللهﷺ، فذكر سكر حمزة وشربه للخمر، واعتداءه بسبب ذلك على ناقة علي رضي الله عنه الذي جهزها لعرسه وأخذه من أكبادها، وغضب الأخير وذهابه لرسول الله يشتكي حمزة رضي الله عنه، وذهاب الرسول إلى عمه معه على وزيد، ولومه لما حدث، فإذا هو في حالة سكر شديدة، وقول حمزة لرسول الله وهل أنتم إلا عبيد لأبي، ورجوع النبي ومن

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود، تحقيق: محمد شايب شريف، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م، ج٣، ص١٠٦٥،

معه [١].

وهذا الذي ذكره درمنغم لم يغال فيه، وإنما رواه كما أوردته الروايات الصحيحة [٢]، فالخمر لم تكن حرمت قبل غزوة أحد، وإنما حرمت في السنة الثالثة بعد غزوة أحد[٣]، وقد تحدث أناس عن هذا الأمر على وجه العموم، فقالوا: هي رجس وهي في بطن فلان قتل يوم بدر، وفلان قتل يوم أحد "، فأنزل الله عز وجل عقب آيات تحريم الخمر: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [المائدة: ٩٣] [٤]، ويفهم من الآية الكريمة أن الله عفا وتجاوز عن شارب الخمر الذي مات قبل أن تحرم تحريما نهائيًا.

وفي الحقيقة لو ذكر درمنغم أمرًا ينتقص فيه من حمزة، لقلت له: أما وجدت في تاريخ هذا البطل العظيم أسد الله وأسد رسوله غير تلك الرواية التي قد يظن البعض بسوء فهمه أو بقلة نظره أنها تنتقص من حمزة رضي الله عنه.

كما أنه في أثناء الحديث عن غزوة أحد أورد حادثة قتل حمزة غيلة على

(١) إميل درمنغم: حياة محمد ص٢٠١.

(٢)الإمام البخاري: صحيح البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: باب فرض الخمس، رقم الحديث،٢٩٢٥، ج٣، ص١١٢٥.

(٣)القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري، (ت: ٦٧١هـ/١٢٧٢م) الجامع لأحكام القرآن= تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢/١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ج٦، ص٢٨٥، العيني: بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى (ت: ٨٥٥هـ/١٤٥١م) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج١٨، ص٢١٢.

(٤) الحاكم: المستدرك على الصحيحين، ج٤، ص١٥٨.

يد وحشي بن حرب كما وردت في الروايات الحديثية والتاريخية[١]، ـ وهذا أمر يحمد له ـ ولم يحذ حذو غيره من المستشرقين الذين حاولوا التقليل من قدره ومكانته [٢].

(ج) علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

لقد تناول درمنغم[٣] الصحابي الجليل سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعرض له حين كان يتحدث عن زواجه بالسيدة فاطمة فقال: "وكانت فاطمة تعد عليًا دميماً محدوداً مع عظيم شجاعته، وما كان علي أكثر رغبةً فيها من رغبتها فيه مع ذلك"

وأضاف درمنغم[٤] "ومما ألم منه علي عدم إذن النبي له في الزواج من أخرى مع فاطمة كما صنع مع صهريه الآخرين"، وذكر أن " صهرا النبي الأمويان، عثمان الكريم وأبو العاصي أكثر مداراة للنبي من علي، وكان علي يألم من عدم عمل النبي على سعادة ابنته ومن عد النبي له غير قوام بجليل الأعمال، فالنبي وإن كان يفوض إليه ضرب الرقاب كان يتجنب تسليم قيادة

(١) إميل درمنغم: حياة محمد ص٢٢١، ٢٢٢.

(٢) حاول بعض المستشرقين التقليل من قدر ومكانة حمزة رضي الله عنه فذكر أحدهم وهو يتحدث عن عشيرة بني هاشم سيدنا حمزة فقال: "أنه لم يكن يحمل عبئا كبيرا في مجالس العشيرة، بل ودلل على تدنى وضع حمزة في بني هاشم بأنه تزوج من قبيلة خثعم البدوية ولم يتزوج من عشيرة قوية لها مكانتها ووزنها (مونتجمري وات :محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مكة، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، راجع الكتاب وعلق عليه: الدكتور أحمد الشلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٥هـ، ص١٧٧).

(٣) حياة محمد ص١٩٧.

(٤) حياة محمد ص١٩٩.

إليه"[١].

هذا ما تناوله درمنغم عن الصحابي الجليل علي بن أبي طالب ﷺ، والملاحظ أنه تعرض لحياة الصحابي الجليل الخاصة، وزواجه من السيدة فاطمة ومدى الظلم الحادث له من صهره رسول الله ﷺ وتفضيل أصهاره الأخرين عليه.

وهذا الكلام يعد محض افتراء على سيدنا علي ﷺ، فبخصوص زواجه من السيدة فاطمة وعدم رغبة فيها أو العكس، فإذا لم يكن هناك رغبة من الطرفين كما يدعي درمنغم فما الداعي لمسألة الزواج والارتباط؟!!، مع أن العديد من المصادر أكدت على أن عليًا ﷺ جاء إلى النبي طالبًا يد السيدة فاطمة[٢]، بل إن أبا بكر وعمر ﷺ خطبا فاطمة، فقال رسول الله ﷺ: «إنها صغيرة» فخطبها علي، فزوجها منه[٣]، ورحب النبي بخطبة علي لفاطمة فقال: مرحبا وأهلا لما تكلم علي في أمرها[٤]، بل إن الصحابي الجليل سارع بتجهيز عرسه، وسكوت السيدة فاطمة في عرف أهل الحياء دليل على الرضا وليس

(١) إميل درمنغم: حياة محمد ص١٩٩.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٨، ص١٦، ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني، (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م)، أسد الغابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية ط١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، ج٧، ص٢١٦.

(٣) النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت: ٣٠٣هـ/ ٩١٥م): السنن الصغرى، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٦ / ١٩٨٦، ج٦، ص٦٢.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٨، ص١٧، ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ج١٠، ص٥٦٢.

دليلاً على الرفض، ولذا فإن الرسول ﷺ قال: "لا تنكح البكر حتى تستأذن ولا الثيب حتى تستأمر فقيل يا رسول الله كيف إذنها قال إذا سكتت"(١)، فكيف يدعي درمنغم عدم رغبة علي وفاطمة في زواجهما؟!!.

أما عن مسألة إيلام سيدنا علي رضي الله عنه من عدم إذن النبي له بالزواج من أخرى كما صنع مع صهريه الآخرين.

فهو يأتي بنصف الكلام على حقيقته والنصف الآخر يوهم فيه، فقد اعترض رسول الله ﷺ على زواج علي رضي الله عنه من ابنة أبي جهل لما سأله عن هذا الأمر، حينما: خطب علي ابنة أبي جهل إلى عمها الحارث بن هشام، فاستشار النبي ﷺ، فقال: «أعن حسبها تسألني؟» قال: علي قد أعلم ما حسبها، ولكن أتأمرني بها؟ فقال: «لا، فاطمة مضغة مني، ولا أحسب إلا أنها تحزن أو تجزع» فقال علي: لا آتي شيئا تكرهه (٢)، فأين إيلام علي رضي الله عنه من عدم إذن النبي بالزواج له؟!! ، وفيه رد على درمنغم الذي يدعي أن عليًا يألم من عدم عمل النبي ﷺ على سعادة ابنته.

وقد أخبر النبي بأنه لا يحرم حلالًا ولا يحل حرامًا، وأن الزواج مباح لعلي رضي الله عنه ؛ إلا أنه ﷺ علل عدم موافقته لتأذي فاطمة بهذا الأمر وأذيتها أذية له، فعمل النبي على تطييب خاطرها، وقد يكون من خصائص النبي ﷺ أن لا يتزوج أحد على بناته(٣).

(١)الإمام البخاري: صحيح البخاري، كتاب: الحيل، باب في النكاح، رقم الحديث،٦٥٦٧، ج٦، ص٢٥٥٥.

(٢) الحاكم: المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٧٣، وعقب عليه الحاكم فقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

(٣) ابن حجر: فتح الباري، ج٩، ص٣٢٩.

وإذا كان من خصائص بنات رسولنا عدم الزواج عليهن، فنجد درمنغم يتحدث بكلام مشوه وغير مقبول، وهو أن النبي منع شيئا عن زوج فاطمة لم يمنعه عن صهريه عثمان بن عفان، والعاص بن الربيع رضي الله عنهما ، مع أن الثابت أن عثمان رضي الله عنه تزوج رقية، وبعد موتها تزوج أم كلثوم إلى أن ماتت، ولم يقل أحد أنه تزوج على أي منهما، ثم تزوج بعد ذلك العديد من النساء، والدليل على ذلك أن عثمان رضي الله عنه كان له من السيدة رقية بنت رسول الله ولد يسمى عبد الله الأكبر وقد مات بعمر الست سنوات، وتزوج من السيدة أم كلثوم بنت رسولنا الكريم ولم ينجب منها، وتزوج بعدها فاختة بنت غزوان فأنجبت له عبد الله الأصغر[1].

كما أن أبا العاص بن الربيع لم يقبل أن يطلق ابنة رسول الله ﷺ السيدة زينب رضي الله عنها حين مشى إليه جماعة من قريش فقالوا له: فارق صاحبتك ونحن نزوجك أي امرأة من قريش، فقال: لا والله لا أفارق زوجتي، وما أحب أن لي بامرأتي غيرها من قريش فإنها خير صاحبة[2]، وكان من حسن صنيع أبي

(١)ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت: ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ /١٩٩٢م ج٤، ٣٣٥، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ج٢، ص٥٥.

(٢) ابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت: ٢١٣هـ/٨٢٨م) السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م، ج١، ص٦٥٢، البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م): أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر بيروت، ط١ ،١٤١٧ هـ -١٩٩٦م، ج١، ص٣٩٧.

العاص أنه بعد مفارقتها لم يتزوج عليها على الرغم من شيوع هذا الأمر بين العرب(١).

ولم أعثر على حد علمي على مصدر يتحدث عن زواج أبي العاص، اللهم إلا ما كان من رواية أوردها ابن عساكر(٢) تتحدث عن زواجه بعد ذهاب السيدة زينب إلى والدها رسول اللهﷺ، وإرادة أبي العاص اللحاق بزوجه، وإغراء قريش له بتزويجه من بنت سعيد بن العاص فتزوجها فولدت له بنتا يقال لها أمية، فتزوجت محمد بن عبد الرحمن بن عوف، ثم فارقها ولحق بزينب بالمدينة قبيل الفتح بيسير.

وهذه الرواية لا تثبت أمام العديد من الروايات القوية التي تثبت حب أبي العاص لزوجه زينب وعدم تخليه عنها، ويبدو أن الوهم حدث؛ لأن من فعل ذلك هو عتبة بن أبي لهب مع بنت رسولنا رقية رضي الله عنها، فقد شرط على قريش لكي يفارق رقية أن يزوجوه بنت سعيد بن العاص، فوافقوا على ذلك(٣).

كما أن هناك أمرًا آخر وهو ثناء رسول الله ﷺ على أبي العاص في

(١) موسى شاهين لاشين: فتح المنعم شرح صحيح مسلم، دار الشروق،١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢م، ج٣، ص ١٥٩.

(٢) أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م) تاريخ دمشق: تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ج٦٧، ص٥.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٦٥٢، الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير (ت: ٣١٠هـ / ٩٢٢م) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ـ مصر، ط٤، د. ت، ج٢، ص٤٦٨، ابن كثير: البداية والنهاية، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، ج٥، ص٢٠٥.

مصاهرته فقال: "حدّثني فصدقني، ووعدني فوفى لي"[١].

ولا أظن إطلاقًا أنه قد حدثت غيرة بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأصهار النبي، ويكفيه قول رسولنا الكريم له "أنت مني وأنا منك"[٢] بل إن رسول الله ﷺ حين خرج إلى تبوك واستخلف عليا فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء قال: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي[٣].

ولا يزال ادعاء درمنغم قائمًا على آل بيت رسول الله ﷺ فقد وصف عليًا بأن النبي لم يعده قوامًا بجليل الأعمال وتجنب تسليم القيادة إليه كما ذكرنا.

وهذا الأمر إنما هو محض افتراء وادعاء، فرسول الله ﷺ كان يعد عليًا موضع احترام وتبجيل يفوض إليه المهام الصعبة والعسيرة من فترة إسلامه، فمن الذي نام مكان رسول الله ليلة هجرته؟!! ومن الذي شارك المشاهد مع رسول الله ﷺ وأبلى فيها بلاء عظيمًا؟!!

ثم إن قول درمنغم أن رسول الله تجنب تسليم قيادة إليه مدعاة للسخرية فعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ، قال يوم خيبر سنة ٧هـ: «لأعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه» قال عمر بن الخطاب: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، قال: فتساورت لها رجاء أن أدعى لها، قال فدعا رسول الله ﷺ

(١)الإمام البخاري: صحيح البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: ذكر أصهار النبي ﷺ منهم أبو العاص بن الربيعت ، رقم الحديث، ٣٥٢٣، ج٣، ص١٣٦٤.

(٢)الإمام البخاري: صحيح البخاري، كتاب: المغازي، باب: عمرة القضاء ذكره أنس عن النبي ﷺ، رقم الحديث، ٤٠٠٥، ج٤، ص١٥٥١.

(٣) الإمام مسلم: صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة رضى الله تعالى عنهم، باب من فضائل علي بن أبي طالبت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج٤، ص١٨٧٠.

علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فأعطاه إياها، وقال: «امش، ولا تلتفت، حتى يفتح الله عليك» قال فسار علي شيئا ثم وقف ولم يلتفت، فصرخ: يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس؟ قال: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم، إلا بحقها وحسابهم على الله"(١).

بل إن رسول الله ﷺ كان يفضل عليًا، ويوكل إليه أمور الحرب وأمورًا أخرى لا تقل أهمية عن أمور الحرب، فقد تواترت الروايات بإرسال النبي ﷺ له إلى بني جذيمة بعد فتح مكة سنة ٨هـ، لتلافي ما وقع فيه خالد بن الوليد رضي الله عنه (٢) وقال له: يا علي اخرج إلى هؤلاء القوم، فانظر في أمرهم، فخرج حتى جاءهم ومعه مال قد بعثه به رسول الله ﷺ، فأعطاهم الدية على الدماء وما أصيبوا من الأموال، وبعد أن فرغ علي رضي الله عنه قال لهم: هل بقي لكم دم أو مال لم يؤد إليكم؟ قالوا: لا، قال: فإني أعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطا لرسول الله ﷺ مما لا يعلم ولا تعلمون ففعل، ثم رجع الى رسول الله ﷺ

(١) الإمام مسلم: صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة رضى الله تعالى عنهم، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ج٤، ص١٨٧١.

(٢) عن سالم عن أبيه قال" بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا فجعل خالد يقتل منهم ويأسر ودفع إلى كل رجل منا أسيره حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره فقلت والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره حتى قدمنا على النبي ﷺ فذكرناه فرفع النبي ﷺ يديه فقال اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد مرتين(الإمام البخاري: صحيح البخاري، كتاب: المغازي، باب: بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، رقم الحديث، ٤٠٨٤، ج٤، ص١٥٧٧).

فأخبره الخبر، فقال: أصبت وأحسنت[١].

وبذلك فقد أحسن علي رضي الله عنه التصرف في مهمته السياسية وفيما كلف به من قبل رسولنا الكريم، فطيب خاطر القوم، وكان خير سفير لإصلاح ما حدث بين رسول الله ﷺ وبين تلك القبيلة.

كما أن النبي أرسله إلى بلاد اليمن أميرًا وقاضيًا [٢] في السنة العاشرة من الهجرة، وكان ﷺ بعث خالد بن الوليد في جند آخر فقال رسول الله ﷺ إن التقيتما فالأمير خالد بن الوليد[٣].

والعجيب أن درمنغم[٤] ذكر بنفسه تلك الأمور التي تبين مكانة علي بن أبي طالب السياسية، وكأنه يتناسى أن ما سيكتبه بعد ذلك يناقض ما كتبه من قبل، فلا يصح بحال من الأحوال أن يدعي مدع بعد ذلك أن رسول الله ﷺ لم يوكل إلى الإمام علي رضي الله عنه المهام أو تجنب تسليم قيادة إليه.

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٤٣٠، الطبري: تاريخ الرسل، ج٣، ص٦٧، ابن كثير: البداية والنهاية ج٦، ص٦٠٠.

(٢)عن علي رضي الله عنه، قال: بعثني النبي ﷺ إلى اليمن قاضيا. فقلت: تبعثني إلى قوم وأنا حدث السن ولا علم لي بالقضاء؟ فوضع يده على صدري، فقال: " ثبتك الله وسددك، إذا جاءك الخصمان فلا تقض للأول حتى تسمع من الآخر، فإنه أجدر أن يبين لك القضاء (ابن حنبل: المسند، مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ج٢، ص،٤٢١، ٤٢٢، علق عليه الأرناؤوط فقال: حديث حسن لغيره، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢، ص٦٩١).

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٦٤١، ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٢، ص٢٥٧.

(٤) حياة محمد ٣١٧، ٣١٨.

المبحث الثالث: آراء درمنغم حول الخلافة والخلفاء الراشدين

تناول درمنغم صحابة النبي من الخلفاء الراشدين بداية من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ أجمعين فتحدث في طرحه عن مسألة الخلافة، ثم تحدث عنهم منفردين وعن بعض مواقفهم، وسوف نعرض لآراء درمنغم في مسألة الخلافة وأشخاص الخلفاء وتاريخهم.

أولًا: مسألة الخلافة

فمن ناحية الخلافة نجد أن درمنغم قد ضخم مسألة الخلافة، وتحدث عن سياسية المؤامرة، وزعم أن عائشة استغلت مكانتها عند النبي لتمهد الطريق لأبيها لتولي الخلافة، وصور المؤلف وجود صراع خفي على الحظوة والمكانة لدى الرسول ﷺ بين الهاشميين من جهة وتمثلهم السيدة فاطمة، وبين السيدة عائشة والسيدة حفصة من جهة ثانية، وأن حريم النبي كانوا شقين يتنافسون فيما بينهم وتقف السيدة فاطمة مع الشق المعادي لعائشة(١).

بل زاد الأمر أكثر من ذلك ببيانه أن عائشة وحفصة كانتا تعملان باجتهاد لتذهب الخلافة لأبي بكر أو عمر، وقد مهد درمنغم لرأيه هذا بالحديث عن تفضيل النبي لعائشة على سائر نسائه، وتدليله لها، وأن بعض نساء النبي كن يعرفن حبه لعائشة فيتنازلن عن نوبتهن لها فيقول "وقد أرادت سودة بنت زمعة العجوز وصفية الإسرائيلية إلقاء السرور في قلب محمد واتقاء الطلاق، فتنازلتا عن نوبتيهما لابنة أبى بكر العزيزة" ثم عقب بقوله "وكانت عائشة تعمل بحذق وبراعة على ما فيه مصلحة آلها، وتحقيق آمالهم الخفية"(٢).

ثم أطلعنا الرجل من وجهة نظره على التحالف بين عائشة وحفصة؛

(١) إميل درمنغم: حياة محمد ص٢٨٣.

(٢) إميل درمنغم: حياة محمد ص٢٨٢.

لتحقيق حلم الخلافة وللوقوف في وجه علي وفاطمة فقال: "وهل كان أبو بكر وعمر يتطلعان إلى خلافة صهرهما النبي؟ لقد قيل إنهما كانا متفقين مع أبي عبيدة على نيل خلافته بالتناوب بعد وفاته، فوفقوا لذلك، وكان لأبي بكر وعمر بابنتيهما عائشة وحفصة المعين على موازنة نفوذ علي وفاطمة"(١).

وأكد على هذا الأمر في أكثر من موضع في كتابه، حتى إنه ذكره في الفصل الأخير الذي تحدث فيه عن وفاة النبي فقال:" فالذي نراه أنه كان يدور حول النبي المحتضر نزاع صامت خفي شديد، وأن العباس الذي كان يقرأ علائم الموت على وجوه بني عبد المطلب كان يعلم دنو أجل ابن أخيه، فكان يود أن يموت النبي في بيت ميمونة لما في ذلك من النفع لبني هاشم، وأن الفريق الآخر كان غير غافل، فكان أبو بكر وعمر يطلعان على ما هنالك من ابنتيهما عائشة وحفصة، وأنه كان يسهل على زوجة النبي المفضلة عائشة جعل النبي يمرض في بيتها"(٢).

وزاد درمنغم(٣) فقال:" أذن بلال، وكان لمحمد من مرضه ما يمنعه من الصلاة بالمسلمين إماما، وعملت عائشة وحفصة على أن ينيب عنه فيها أبا بكر أو عمر، ثم تحسن قليلا فاستطاع أن يتوضأ ويخرج إلى المسجد معتمدا على علي بن أبى طالب والفضل بن العباس، ومن هنا ترى أن هذين الهاشميين قد حضرا ليوازنا نفوذ عائشة وحفص".

وفي الكلام السابق ذكر اتهامات صريحة للسيدة عائشة وحفصة رضي الله عنهما بأنهما كانتا من الأسباب المباشرة للتمهيد لتولي أبي بكر رضي الله عنه الخلافة، ثم إن درمنغم

(١) إميل درمنغم: حياة محمد ص٢٨٣.

(٢) إميل درمنغم: حياة محمد ص٣٣٤، ٣٣٥.

(٣) حياة محمد ص٣٣٧.

ذكر أن هناك اتفاقًا بين أبي بكر وعمر وأبي عبيدة حول مسألة الخلافة.

وفي الحقيقة قد يكون درمنغم أتانا بهذه الإشكالات من كتب الشيعة التي تعتقد في الإمامة والوصية، وتعدها من أمور العقائد التي لا مجال للحديث عنها، وقد تلقف المستشرقون تلك الخلافات بين السنة والشيعة، ولعبوا ببراعة على هذا الوتر يأخذون من هنا وهنا ما يخدم مصالحهم وأهدافهم، ولذا سيكون الرد موجهًا إلى درمنغم، ومن يحاول معه تشويه الصحابة دون وجه حق مع اعترافنا التام ببشريتهم وعدم عصمتهم.

هذا الكلام الذي ادعاه درمنغم لا يستحق إلا أن نقول عنه: إنه اتهامات باطلة وادعاءات كاذبة لا أساس لها من الصحة، فهو على الرغم من ادعائه الموضوعية، صور لنا خيرة الصحابة متكالبين على الدنيا وعلى حطامها الفانية يشغلهم أمر الزعامة والرياسة، يدبرون لذلك المكائد والدسائس ويضعون عيونًا لهم من أبنائهم لمراقبة الوضع عن كثب؛ لتحقيق ما يصبون إليه، بل إنه صور لنا الأمر في صورة صراع بين الهاشمين تمثلهم فاطمة وعلي والعباس رضي الله عنهم ، وبين الحزب المعادي لهم ويمثلهم عائشة وحفصة وأبويهما وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم .

والواقع يشهد، والمصادر تؤكد على أنه لم يوجد أي ترصد عن تخطيط السيدة عائشة لأمر الخلافة، فها هي تراجع رسول الله ﷺ مرارا في شأن إمامة أبي بكر رضي الله عنه ، فعن أبي موسى قال: "مرض النبي ﷺ فاشتد مرضه فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس قالت: عائشة إنه رجل رقيق إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس قال: مروا أبا بكر فليصل بالناس فعادت فقال: مري أبا بكر فليصل بالناس فإنكن صواحب يوسف فأتاه الرسول فصلى بالناس في حياة

النبي ﷺ"[1].

وهذه الرواية من أعلى درجات الصحة، فلو كانت هناك خطة أو ترصد لسكتت السيدة عائشة على الأقل، ولم تراجع رسول الله ﷺ مرارا في الأمر، لأنه جاء ما تتمناه وما تخطط له من وجهة نظر درمنغم.

ثم تحدث عن الاتفاق والتحالف بين عائشة وحفصة وأبي بكر وعمر وأبي عبيدة رضي الله عنهم، مع أن هذا العصر لم يكن العصر الذى يتهافت أصحابه على المناصب، إن موقف الرجال الثلاثة أن كلا منهم كان زاهدا في الخلافة يريد أن يضعها عن كاهله، ثم إن جميع المؤشرات كانت تشير إلى الصديق رضي الله عنه، ومنها ما أمر به النبي من صلاته بالناس، وكذلك قوله ﷺ حين أتته امرأة فأمرها أن ترجع إليه قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك كأنها تقول الموت قال: ﷺ إن لم تجديني فأتي أبا بكر[2]، وغير ذلك من التلميحات العديدة، ومع تلك الإشارات لم يكن هناك نص صريح من رسول الله ﷺ لاستخلاف أحد، وفي هذا دحض لما قاله درمنغم من أن عائشة وحفصة سعيا أن تكون الخلافة لأبي بكر أو عمر، فلو نجحوا في مسعاهم، كان من الممكن أن يعهد رسول الله ﷺ لأبي بكر، لكن ذلك لم يحدث.

يضاف لذلك قول السيدة عائشة رضي الله عنها "أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنح يعني بالعالية، فقام عمر يقول والله ما مات رسول الله ﷺ قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال

(١) الإمام البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجماعة والإمامة، باب: أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، رقم الحديث،٦٤٦، ج١، ص٢٤٠

(٢) الإمام البخاري: صحيح البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: قول النبي ﷺ لو كنت متخذا خليلا، رقم الحديث،٣٤٥٩، ج٣، ص١٣٣٨.

وأرجلهم، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ، فقبله قال بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا"[١].

فلو نظرت إلى الحديث لأيقنت أن أبا بكر لم يكن متواجدا وقت وفاة رسول الله ﷺ؛ لكنه ذهب إلى إحدى زوجاته، وكانت ساكنة بالسنح شرقي المدينة، فركب على فرس له وذهب إلى منزله، وبعدها توفى رسول الله ﷺ، فذهب أحد الناس إلى الصديق في مكانه فأعلمه الخبر[٢].

نستنتج من ذلك أن أبا بكر رضي الله عنه ما كان يطمع في الخلافة، ولم يكن هناك اتفاق مسبق بين الأطراف المختلفة كما يزعم درمنغم، فهل من الممكن أن يخرج الصديق إلى خارج المدينة ويترك الأمر الذي يرغب فيه ويخطط له هو ومن معه؟!!، أم يظل موجودا حريصًا على تحقيق ما يربو إليه ليمسك بزمام الأمور، بل انظر إلى فاروق الأمة الذي لم يصدق ما حدث، ولم يستطع عقله أن يستوعب فقدان رسول الله ﷺ.

بل لك أيها القارئ الكريم أن تنظر إلى قول الصديق رضي الله عنه حين قال: والله ما كنت حريصا على الإمارة يوما ولا ليلة قط، ولا كنت فيها راغبا، ولا سألتها الله عز وجل في سر ولا علانية، ولكني أشفقت من الفتنة، وما لي في الإمارة من راحة، ولكن قلدت أمرا عظيما ما لي به من طاقة ولا يد إلا بتقوية الله عز وجل، ولوددت أن أقوى الناس عليها مكاني اليوم، فقبل المهاجرون منه ما قال وما اعتذر به، قال علي والزبير رضي الله عنهما: ما غضبنا إلا لأنا قد أخرنا عن المشاورة، وإنا نرى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله ﷺ، إنه لصاحب

(١) الإمام البخاري: صحيح البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: قول النبي ﷺ لو كنت متخذا خليلا، رقم الحديث،٣٤٦٧، ج٣، ص١٣٤١.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص٧٩.

الغار، وثاني اثنين، وإنا لنعلم بشرفه وكبره، «ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حي»[١].

وهذا كلام حق فلم يكن الصديق رضي الله عنه يريد إمارة أو خلافة، كما أنه لم يكن له قبيلة قوية تمنعه أو تقف بجواره، فهل كان من المعقول أن يقف ثلاثة أشخاص أو خمسة في وجه قوة بني هاشم، ولذا عندما جاء أبو سفيان إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال: ما بال هذا الأمر في أقل قريش قلة وأذلها ذلة ـ يعني أبا بكر ـ؟ والله لئن شئت لأملأنها عليه خيلا ورجالا، فقال علي: «لطالما عاديت الإسلام وأهله يا أبا سفيان، فلم يضره شيئا، إنا وجدنا أبا بكر لها أهلا[٢].

بل عندما سأل محمد بن الحنفية أباه الإمام علي رضي الله عنه قائلا له " أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين"[٣].

وخلاصة ما سبق: فإن زعم درمنغم تبطله الأدلة النقلية التي بلغت أعلى درجات الصحة، والحقائق التاريخية.

ثانيًا: الخلفاء الراشدين.

بعد الحديث عن الخلافة يلاحظ أن درمنغم[٤] في وسط كلامه يحاول أن يشكك في هؤلاء الخلفاء، ويتتبع الزلات، ويبحث عن العثرات سواء في أحداث

---

(١) الحاكم: المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص٧٠، وهو حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، الذهبي: تاريخ الإسلام ج٣، ص١٣.

(٢) الحاكم: المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص٨٣، علق عليه الذهبي فقال: سنده صحيح.

(٣) الإمام البخاري: صحيح البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: قول النبي ﷺ لو كنت متخذا خليلا، رقم الحديث،٣٤٦٨، ج٣، ص١٣٤٢.

(٤) حياة محمد ص٢٢٠.

جماعية أو فردية، فحين تحدث عن غزوة أحد قال: " فولى عثمان وأبو بكر وعمر، على ما يحتمل ظهورهم مسرعين إلى المدينة"

وهو هنا يدعي عدم شجاعة هؤلاء الكرام وجبنهم عن خوض المعارك، حتى إنه أورد هذا الأمر بصيغة التشكيك، مع أن الحقائق تكذب ذلك، فلم نسمع أن الصديق أبا بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما قد فروا يوم أحد؛ بل كانوا من أشجع الناس، يدل على ذلك أن أبا سفيان بن حرب نادى على المسلمين بعد مقتل العديد منهم قائلًا: "أفي القوم محمد؟ فقال: رسول الله لا تجيبوه فقال: أفي القوم بن أبي قحافة؟ قال: لا تجيبوه فقال: أفي القوم بن الخطاب؟ فقال: ـ أي أبو سفيان ـ إن هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا فلم يملك عمر نفسه فقال: كذبت يا عدو الله أبقى الله عليك ما يخزيك"(١)

وفي هذا دليل على وجود أبي بكر وعمر، فقد أجاب عمر على أبي سفيان ومعه رسول الله ﷺ ونداء أبي سفيان عليهم فيه دلالة خاصة على قوتهم وشجاعتهم وأنهم لم يعرفوا للفرار طريقًا، وحياتهم خير دليل على هذا الأمر، بل انظر إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم أحد حين قال لأخيه زيد بن الخطاب: خذ درعي فقال زيد: إني أريد من الشهادة ما تريد فتركاها جميعًا(٢)، وفي هذا دليل على أن الأمر كان وقت اشتداد الحرب لا التجهيز له، وأن عمر الذي عرف بقوته وجرأته لم يفر قط، وإنما ثبت في جميع المشاهد مع النبي ﷺ.

أما الخليفة الراشد عثمان بن عفان فله شأن آخر، فعندما جاء رجل حج البيت فرأى قوما جلوسا فقال: من هؤلاء القعود قالوا: هؤلاء قريش قال: من الشيخ

(١) الإمام البخاري: صحيح البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة أحد، رقم الحديث،٣٨١٧، ج٤، ص١٤٨٦.

(٢)ابن الأثير: أسد الغابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٣٥٦.

قالوا: ابن عمر، فأتاه فقال: إني سائلك عن شيء أتحدثني، قال: أنشدك بحرمة هذا البيت أتعلم أن عثمان بن عفان فر يوم أحد قال: نعم قال: فتعلمه تغيب عن بدر فلم يشهدها، قال: نعم قال: فتعلم أنه تخلف عن بيعة الرضوان فلم يشهدها قال: نعم فكبر، قال بن عمر: تعال لأخبرك ولأبين لك عما سألتني عنه، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه، وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال له النبي ﷺ: إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فإنه لو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان بن عفان لبعثه مكانه، فبعث عثمان وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة فقال النبي ﷺ بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال: هذه لعثمان اذهب بهذا الآن معك[1].

وفي الحقيقة ما أود التعقيب به على هذا الحديث الشريف هو أن صحابة النبي ﷺ على قدرهم وعلو منزلتهم هم بشر وليسوا ملائكة أو أنبياء يعتريهم ما يعتري البشر من أخطاء وسقطات، إلا أنها لا تساوي شيئا في بحار أعمالهم وحسناتهم، فعثمان رضي الله عنه له من الفضل العميم ما الله به عليم، إن ظهرت منه سقطة أو هفوة فنفسه نفس بشرية، وليس شخصًا معصوما من الخطأ، وقد غفر الله له، فأصبح خطؤه كأن لم يكن، فكيف يعير من تجاوز الله عنه وغفر له؟!!.

وحين تحدث درمنغم[2] بصورة مفردة لم يتخل عن سياسة التشويه فيقول عن أبي بكر: إنه لم يستطع أن يهدي أباه وأولاده إلى الإسلام ولا سيما ابنه

(١) الإمام البخاري: صحيح البخاري، كتاب: المغازي، باب قول الله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يوم الْتَقَى الْجَمْعَانِ إنما اسْتَزَلَّهُمْ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ ما كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا الله عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ }، رقم الحديث،٣٨٣٩، ج٤، ص١٤٩١.

(٢) حياة محمد ص٦٣.

البكر وإخوته وأخواته الذين ظلوا على وثنيتهم إلى أن فتحت مكة، وقد أكد هذا الأمر في موضع آخر من كتابه حين قال: " وكان أبو بكر وآله يقيمون بمنزل صغير بضاحية السنح، وقد بقى ابنه الأكبر المشرك الشديد في مكة، وتزوج ابنه الآخر عبد الله بالمهاجرة عاتكة بنت الحنيف الشهير زيد بن عمرو التي كانت آية في الجمال، فبلغ من الافتتان بها ما أهمل معه الجهاد فحمله أبوه على فراقها حينا(١).

إن هذا الكلام الذي يدعيه درمنغم لا يقدح أبدا في صاحب رسول الله، بل إنه ينزله مكانة عالية ويرفع قدره؛ لأنه يؤكد على أن الإسلام لم يجبر أحدا على الدخول فيه حتى لو كان الأب أو الأبناء، بل لك أيها القاري الكريم أن تنظر إلى المفارقة العجيبة حين أصبح بيت الصديق مفخرة لكل مسلم، فقد أسلم أبوه وأمه وأولاده وأدركوا هم وأبناؤهم صحبة النبي ﷺ، فهم بيت إيمان ليس فيهم منافق، ولا يعرف هذا الأمر في بيت أحد من صحابة رسول الله إلا بيت أبي بكر رضي الله عنه (٢).

وحين تحدث عن عمر رضي الله عنه تحدث بصورة غير لائقة عن جانب من حياته الاجتماعية فهو يحاول أن ينتقص من عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فكان مما قاله:" وقد أبت امرأتان الزواج منه بعد أن أصبح أمير المؤمنين لعبوسه

(١) إميل درمنغم: حياة محمد ص١٥١.

(٢) ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ/١٣٢٨م) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦ هـ /١٩٨٦م، ج٨، ص٣٣٢.

المستمر "[١].

وليت الأمر وقف عند ذلك، بل ادعى أن هناك علاقة سابقة كانت تجمع بينه وبين هند بنت عتبة فقال:" والناس كانوا يعلمون ما كان لهذه الحسناء من فتنة للقلوب وكان لعمر عندها زلفى في غابر الأزمان، فنظر عمر مبتسمًا إلى النبي. والنبي، إذ كان يعلم مغزى ابتسامة عمر، حدق إليه دون أن يقول كلمة حذر انتباه أبي سفيان" [٢].

إن الخبر الذي ذكره درمنغم بخصوص عدم قبول امرأتين الزواج من أمير المؤمنين ذكره الطبري في تاريخه[٣]، وهنا لن نتحدث عن صحة الخبر من عدمه، وسأفترض مع درمنغم صحته، إلا أن هذا لا يقدح في أمير المؤمنين، وإنما هي مندوحة ومحمدة له، حيث أنه تقبل برحابة صدر مسألة الرفض، فلم يجبر أحدًا على شيء مع أنه الخليفة، ولو كان ذلك الأمر مع غيره من أصحاب النفوذ لقامت الدنيا ولم تقعد، كما أن الرفض لم يكن لعيب فيه، وإنما كان لخشونة عيشه وشدته، وبعض النساء لا تطيق هذا الأمر.

أما عن الأمر الآخر وهو العلاقة التي كانت في سالف الأيام بين عمر رضي الله عنه وهند، فهو ادعاء باطل ولا أساس له من الصحة، فلم أعثر ـ على حد علمي ـ على مصدر في كتب الحديث أو السيرة أو التاريخ أو حتى الأدب يتحدث عن الأمر، ويظهر أنها من تلفيقات الشيعة لعمر وأم الخليفة معاوية رضي الله عنهم ، فهند، هذه الحرة الكريمة العفيفة التي استنكرت قول النبي في بيعته للنساء بعد

(١) إميل درمنغم: حياة محمد ص١٥٢.

(٢) إميل درمنغم: حياة محمد ص٣١٥.

(٣) ج٤، ص١٩٩، ٢٠٠.

فتح مكة ولا تزنين اعترضت فقالت: وهل تزني الحرة؟[١] واستنكارها لهذا الأمر لأن المشهور عند العرب قبل الإسلام أن البغاء في الغالب إنما يكون في الإماء دون الحرائر[٢].

كما وجدنا أنه يحاول أن يحيد بالرواية التي ذكرها عن مسارها الصحيح التي توضح اجتماع رسول اللهﷺ بالنساء للبيعة فقال: تبايعنني على ألا تشركن بالله شيئا! فقالت هند: والله إنك لتأخذ علينا أمرا ما تأخذه على الرجال، وسنؤتيكه قال: ولا تسرقن، قالت: والله إن كنت لأصيب من مال أبي سفيان الهنة والهنة وما أدري أكان ذلك حلالي أم لا! فقال أبو سفيان وكان شاهدا لما تقول: أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حل، قال: ولا تزنين، قالت: يا رسول الله، وهل تزني الحرة! قال: ولا تقتلن أولادكن، قالت: قد ربيناهم صغارا، وقتلتهم يوم بدر كبارا، فأنت وهم أعلم! فضحك عمر بن الخطاب من قولها،[٣] واكتملت البيعة، وهذا هو الشاهد أن عمر بن الخطاب ضحك من قولها في هذا الأمر، ولم يتحدث أحد عن أن هناك غمزًا ولمزًا.

وتحدث درمنغم[٤] على أن عثمان بن عفان: كان به بعض آثار الجدري، وأنه اشترى بئر رومه من يهودي بأربعين ألف درهم[٥].

وتعقيبًا على الأمر، فإن الرجل لم يجد ما يلصقه بالخليفة الثالث عثمان

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج٨، ص١٨٩.

(٢) ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت، الكويت، ط٢٧، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ج٥، ص٦٨٦.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٣، ص٦٢، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٢٦.

(٤) حياة محمد ص٦٩.

(٥) حياة محمد ص١٤٩.

بن عفان رضي الله عنه سوى أنه كان فيه من الجدري، وأظن أنه ما ذكر ذلك إلا لينفر القارئ من الصحابي الجليل، وكأنه ما وجد غير ذلك حتى يَذكُرَه به!!

وإذا كان الأمر كذلك إلا أن درمنغم لم يراع أن ما حل بالصحابي الجليل ليس من تلقاء نفسه، ومع ذلك لم يؤثر هذا الأمر على شكله ووجه الحسن الذي وصف به[١]، كما أن له من المآثر الجليلة في الإسلام ما فاق به غيره وهى معروفة مشهورة في كتب السير والتاريخ.

وحين ذكر محمدةً ومنقبة للصحابي الجليل أخطا في تقيميها وذكر رقما كبيرا في هذا الوقت وبتتبع العديد من المصادر نجد أنها اختلفت حول قيمة شراء بئر رومة فالبعض يزيد في ثمنه ليصل إلى خمسة وثلاثين ألف درهم[٢]، والبعض الآخر قلل في الثمن، وذكر أن عثمان رضي الله عنه اشترى نصفها من يهودي باثني عشر ألف درهم، واشترى النصف الآخر بثمانية آلاف درهم، فيكون مجموع ما اشترى به عشرين ألف درهم [٣] والعديد من الأحاديث الصحيحة لم تذكر أو تحدد ثمن البيع وإنما ذكرت الشراء دون تحديد القيمة فقد أورد الإمام البخاري في صحيحه[٤] قول النبي ﷺ "من يشتري بئر رومة فيكون دلوه فيها

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج٣، ص٤٢، ابن الجو زي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٤، ص٣٣٤.

(٢) البغوي: أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المَرْزُبان(ت:٣١٧هـ/ ٩٢٩م) معجم الصحابة، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان، الكويت، ط١، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م، ج١، ص٢٩٧.

(٣) ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم القرطبي (ت: ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ج٣، ص١٠٤٠.

(٤) كتاب المساقاة، باب في الشرب، ج٢، ص٨٢٩.

كدلاء المسلمين فاشتراها عثمان رضي الله عنه".

وحين تحدث درمنغم[١] عن شخصية الخليفة الرابع رضي الله عنه قال: "والإنسان حينما يقرأ ما جاء في كتب التاريخ والأقاصيص من الأحاديث عن أعمال علي ومصائبه وخاتمة حياته المفجعة، وهو الذي ألهه الدروز والنصرية، تتمثل له صورة بطل عبقري ظريف لطيف منير جميل لم يدنس وجه بالسجود لصنم والإنسان يجب أن يعلم، مع ذلك، أن عليًا كان قصيرا أسمر البشرة دقيق الذراعين ضخم الرأس غير بهي الوجه لعينيه الكبيرتين الفاترتين وانخفاض قصبة أنفه وكبر بطنه وصلعه" .

هذا الوصف الذي وصف به درمنغم الصحابي الجليل على بن أبي طالب رضي الله عنه بالغ فيه، وفي الحقيقة لا أعلم ما الداعي الذي دعاه لأن يذكر لنا صفته الخَلقية، مع أن سياق الكلام كان لا يستدعي ذلك، لكنه أراد من طرف خفي أن يهون في قلوب وأذهان قرائه شخصية الإمام علي، كما أنه قاس الأمر بمقياس عصره التي تتطلب الوجاهة والوسامة، وليته راعى الدقة في نقله.

إن العديد من العلماء ذكروا صفة الصحابي الجليل، فكان مما قيل أنه رضي الله عنه كان ربعة من الرجال لا قصير ولا طويل، وإن كان إلى القصر أقرب، آدم، أي أسمر اللون، شديد سواد العينين مع سعتهما، حسن الوجه، كأنه القمر ليلة البدر حسنا، ضخم البطن، عريض المنكبين، عظيم الكفين، أصلع ليس في رأسه شعر إلا من خلفه، كبير اللحية، لمنكبه مشاش كمشاش السبع الضاري، لا يتبين عضده من ساعده، قد أدمجت إدماجا، إذا مشى تكفأ، وإذا أمسك بذراع رجل أمسك بنفسه فلم يستطع أن يتنفس، وهو إلى السمن أقرب،

(١) حياة محمد ص١٩٨.

شديد الساعد واليد، وإذا مشى للحرب هرول، ثبت الجنان، قوي شجاع، منصور على من لاقاه[1].

ولنسأل درمنغم أين هي دقة ذراعه؟!! وأين عدم بهاء وجه؟ ألا يعلم أن الرجل قد يكون أسمر اللون كما وصف على رضي الله عنه، لكنه صاحب طلعة بهية ونفس ذكية، ثم إذا أردت معرفة الرجال فسل عن خصالهم وأفعالهم، لا أن تذكر عدم بهاء وجوههم، فكم نسمع عن أناس في هيئتهم وأشكالهم كالقمر ليلة التمام، لكنهم لا يساوون في ميزان الرجولة شيئًا، وديننا علمنا أن ميزان الرجال بأعمالهم لا بصورهم وأشكالهم.

وفي النهاية فإن الموضوعية العلمية كانت تقتضي من درمنغم النظر إلى ما يقرره من آراء حول الخلافة والخلفاء بحياد مطلق وبحسن نية، حتى لا تتعرض كتابته للنقد والرفض أمام المنهج العلمي السليم.

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج٣، ص١١٢٣، محب الدين الطبري: أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد(ت: ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م): الرياض النضرة في مناقب العشرة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت،ج٣، ص١٠٧، ١٠٨، الهيثمي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت: ٨٠٧هـ/١٤٠٥م) مجمع الزوائد، ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ج٩، ص١٠١

المبحث الرابع: آراء درمنغم في الصحابة من المهاجرين.

تحدث درمنغم عن الصحابة من المهاجرين، فذكر العديد من الشخصيات في ثنايا كتابه، متهمًا الكثير منهم بعظائم الأمور، مشوهًا سيرتهم، مبتعدا عن المنهج العلمي السليم في تحليليه ونقله، وفي هذا المبحث سنتناول ما كتبه درمنغم عن الصحابة من المهاجرين والرد عليه.

(أ) عبد الله بن سعد بن أبي السرح رضي الله عنه.

ذكر درمنغم[١] أن أحد كتاب الوحي وهو عبد الله بن سعد بن أبي السرح كان يتلهى بتبديل ما كان يمليه النبي عليه، ثم هرب إلى مكة لما كشف أمره مرتداً عن الإسلام، ثم عاد إلى الإسلام.

مما لا شك فيه أن عبد الله بن أبي سرح كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، وأنه بالفعل ارتد عن الإسلام؛ لكنه لم يكن يتلهى بتبديل ما يمليه النبي عليه، فالقرآن الكريم محفوظ بطريق التواتر بكل كلامه وحروفه تعهد الله بذلك فقال:" ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجر: ٩]، وما حدث أن النبي دعا ابن أبي السرح وأملى عليه بعض آيات القرآن الكريم، فلما انتهى إلى قوله تعالى: " ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾المؤمنون: ١٤ " عجب عبد الله في تفصيل خلق الإنسان فقال:" فتبارك الله أحسن الخالقين" فعقب رسول الله ﷺ: هكذا أنزلت، فشك عبد الله حينئذ وقال: لئن كان محمد صادقا لقد أوحي إلى كما أوحى إليه، ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال، فارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين[٢]، وما فعله لا يقدح بأي حال من الأحوال في القرآن الكريم، لأنّ الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد وقع له هذا الأمر، وكان يرى الرّأي فينزل

(١) حياة محمد ص٢٤٩، ٢٥٠.

(٢) القرطبي: تفسير القرطبي، ج٧، ص٤٠.

القرآن موافقا لرأيه، وذلك في نحو عشرين موضعا[١]، ولكن عقل عبد الله لم يستوعب أن يوافق القرآن قوله، فكان منه ما كان.

أما ما ذكره بعض المفسرين والذين استند عليهم درمنغم أن ابن أبي السرح كان يملي على النبي [سميعا عليما] فيكتب هو [عليما حكيما] وإذا قال: [عليما حكيما] كتب [غفورا رحيما] وما روى في بعض الروايات أن النبي ﷺ قال أي منهما فهي بروايات معللة أي ضعيفة تقدح في صحته، ولعل قائله قاله بناء على أن ابن أبي السرح هو الذي ادعاه بعد ردته[٢].

كما أن ابن سعد[٣] ذكر هذا الأمر بصيغة التمريض حين قال [قالوا]، مما يؤكد على ضعف تلك الروايات، ثم كيف يتلهى عبد الله بن سعد بتبديل الآيات وأمين الوحي جبريل يعارض النبي بالقرآن كل عام، ورسول الله ﷺ إذا نزل عليه آية من القرآن لم يذكرها لواحد فقط وإنما ذكرها لعدد من صحابته يتواتر نقل الآية بهم، فالروايات الصحيحة المشهورة[٤] لم تتضمن إلا أنه قال عن

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق، حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٩٩.

(٢) ابن تيمية: الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني وآخرون، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ص١٢٦.

(٣) الجزء المتمم لطبقات ابن سعد [الطبقة الرابعة من الصحابة ممن أسلم عند فتح مكة وما بعد ذلك]، تحقيق: عبد العزيز عبد الله السلومي، مكتبة الصديق، الطائف، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ، ص٤٤٨.

(٤) فعن ابن عباس، قال: كان عبد الله بن سعد بن أبي السرح يكتب لرسول الله ﷺ -، فأزله الشيطان، فلحق بالكفار، فأمر به رسول الله ﷺ أن يقتل يوم الفتح، فاستجار له عثمان بن عفان، فأجاره رسول الله ﷺ (أبو داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ/ ٨٨٩م) سنن أبي داود، تحقيق: شعَيب الأرناؤوط وآخرين، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩م، ج٦، =

النبي ﷺ ما قال أو أنه كتب ما شاء، وقد عُلم أن النبيﷺ لم يقل له شيئا[١].

إن الصحابي الجليل عاد إلى الإسلام وحسن إسلامه، كما أن الفرية التي ارتكبها أثرت على نفسيته، وأحس مع رجوعه وتوبته أنه صاحب ذنب كبير، ولذلك لما قال عثمان بن عفان رضي الله عنه للنبي إنه يفر منك ـ وفراره ليس خوفا من القتل، وإنما خجلا من رسول الله ـ كلما رآك فتبسم النبي ﷺ فقال: أو لم أبايعه وأؤمنه؟ ثم قال ﷺ مبينًا أن من أذنب ثم تاب محى ذنبه فقال: «الإسلام يجب ما كان قبله» فرجع عثمان إلى ابن أبي سرح فأخبره، فكان يأتي فيسلم على النبي مع الناس[٢] وولى مصر في عهد عثمان رضي الله عنه سنة ٢٧هـ، وغزا إفريقية وأرض النوبة،[٣] وقاد معركة ذات الصواري سنة ٣٤هـ ضد الدولة البيزنطية وكتب الله له النصر فيها[٤]، إلى جانب كل ذلك، تؤكّد خاتمة عبد الله

=

ص٤١٤، وعلق عليه الأرناؤوط فقال: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن.

(١) ابن تيمية: الصارم المسلول على شاتم الرسول ص١٢٦.

(٢) الواقدي: محمد بن عمر بن واقد السهمي، المدني (ت: ٢٠٧هـ/ ٨٢٣م): المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ج٢، ص ٨٥٦، ٨٥٧، ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص١٤٥.

(٣) خليفة بن خياط: أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (ت: ٢٤٠هـ/٨٥٤م): تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق، بيروت، ط٢، ١٣٩٧هـ، ص١٥٩، الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٤، ص٢٥٢.

(٤) ابن عبد الحكم: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله المصري (ت: ٢٥٨هـ/ ٨٧١م) فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٥ هـ، ص ٢١٧ـ ٢١٩، البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥، ص٥٣٩.

بن سعد رضي الله عنه حسن نيته وصدق توبته لله ورسوله، فقد أطبقت المصادر على أنّه مات بفلسطين وهو معتزل الفتنة التي حدثت بعد مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه ، ودعا ربّه في الليلة التي مات في صبيحتها أن يتوفّاه الله في صلاته، فقبضت روحه قبل أن يسلّم التسليمة الآخرة من صلاة الصبح[١] كل ذلك يؤكد على حسن إسلامه بعد ردته، فلا يصح في النهاية أن يؤخذ بجريرة عفا عنها الله ورسوله.

(ب) عمرو بن العاص رضي الله عنه .

حين تحدث درمنغم[٢] عن الصحابي عمرو بن العاص وصفه بأوصاف لا تليق، فادعى أنه ابن غرام، وطعن في نسبه واتهم والدته بالزنا فقال: "وكان عمرو بن العاص الفتى الشاعر الوسيم يكثر من هجاء النبي ودينه بما هو أشد إيلامًا وخطرًا من أي تعذيب، وعمرو هذا هو ابن الغرام، فقد كانت أمه تسكن بيتًا صغيراً في ضواحي مكة، وكان على بابه عَلَمُ الدّعارة فلما ولد عمرو جمعت من كان يغشونها، ومنهم: أبو سفيان وأبو لهب وأمية بن خلف، وذلك مع خبير بالفراسة لينسب عمرًا إلى أحدهم، فألصق هذا الخبير عمراً بالعاص الذي كان أكبرهم سنًا، فسمي فاتح مصر القادم بعمرو بن العاص".

إن اتهام درمنغم للصحابي الجليل لم يكن من تلقاء نفسه، بل هي روايات وجدت في الغالب بكتب الأدب[٣] التي ادعت على أم عمرو هذا الأمر،

---

(١) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة ج٤، ص٩٥، ٩٦.

(٢) حياة محمد ص٧١.

(٣) وقد قيل إنها كانت بغيًا عند عبد الله بن جدعان، فوطئها في طهر واحد عدد من صناديد قريش منهم أبو سفيان بن حرب والعاص بن وائل، فولدت عمرا فادعاه كلهم، فحكّمت فيه أمّه فقالت: هو للعاص، لأن العاص كان ينفق عليها، وقالوا: كان أشبه بأبي سفيان (الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٤م): =

والمنصف منهم من ذكرها بصيغة الضعف والتمريض كما هي عند ابن حمدون في التذكرة[١]، ومعلوم أن كتب الأدب في الغالب لا تعتني بصدق الخبر من ناحية السند والمتن.

إن الروايات التي تحاول أن تطعن في نسب الصحابي الجليل مختلقة وكاذبة يدل على ذلك أن عمرا عندما سئل عن أمه ذكر بكل وضوح وشفافية أنها كانت من السبايا فقال: أمي سلمى بنت حرملة تلقب بالنابغة من بني عنزة، وقعت في الأسر، فبيعت بسوق عكاظ، فاشتراها الفاكه بن المغيرة، ثم اشتراها منه عبد الله بن جدعان، ثم صارت إلى العاص بن وائل، فولدت له[٢].

ولهذا فإن الناس فاضلت بين عمرو بن العاص وأخيه هشام الذي أسلم قبل عمرو، وكان شريفًا في قومه فقيل لعمرو: أيهما أفضل أنت أم أخوك؟ فكانت الأفضلية لأخيه، وأقر بذلك عمرو، والسبب أن أم هشام امرأة حرة من علية القوم تسمى بحرملة بنت هشام بن المغيرة أخت أبي جهل من بني مخزوم[٣].

=

ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مؤسسة الأعلمي، بيروت ط١ ،١٤١٢هـ ، ج٤، ص٢٧٥، ابن حمدون: ، أبو المعالي محمد بن الحسن ، بهاء الدين البغدادي (ت: ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م) التذكرة الحمدونية الناشر: دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ج٢، ص١٢٩).

(١) ج٢، ص١٢٩.

(٢)ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٣، ص١١٨٥، ابن الأثير: أسد الغابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٢٣٢.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف ج١٠، ص٢٧٧، ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ/١٠٦٤م): جمهرة أنساب العرب، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص١٦٣.

مما لا شك فيه أن العرب آنذاك كانت تحب الفخر بالأنساب والأحرار، وتضع في المرحلة الثانية أولاد الجواري والإماء والسبايا، فهل كون أم عمرو وقعت في السبي يطعن في عفتها ويجعلها صاحبة راية في قريش؟!!، ولو كان الأمر كذلك، فهل كانت قريش ستجعل ابن صاحبة الراية سفيرا لها يتحدث بلسانها في مهامها وأمورها؟!! أظن أن هذا أمر لا يستقيم، ولو ذهبنا مذهبا بعيدا فاعتبرنا صحة هذا الأمر، فهل يحاسب عمرو على جريرة لم يفعلها ولم يكن له فيها شأن أو ذنب ويعير بها الرجل وتكتب في مثالبه ونقائصه مع أن الإسلام جاء وهدم كل ذلك.

أما عن هجاء عمرو للنبي قبل إسلامه فهذا الأمر لم أعثر عليه وكل ما ورد أن عمرو بن العاص أنشد شعرا يوم أحد[١] وأورد البعض أن عمرو كان شاعرا[٢]، إلا أنه من الناحية الفعلية لم يكن من الشعراء الثقال في الجاهلية، أو الذين يوجعون المسلمين بشعرهم، والدليل على ذلك أن الأصمعي في رسالته فحولة الشعراء[٣] ذكر أن شاعر الرسول حسان بن ثابت ـ الذي كان مكلفًا بالرد على شعراء قريش ـ عندما عرض عليه شعر عمرو بن العاص قال: ما هو شاعر، ولكن هو عاقل.

وفي النهاية فإن الصحابي الجليل رضي الله عنه بايع النبي على أن يغفر الله له ما تقدم من ذنبه فأجابه ﷺ ولبى طلبه بقوله: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص١٤٣، ١٤٤.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج٣، ص١١٨٨، ابن الجوزي: المنتظم ج٥، ٢٣٢.

(٣) أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك (ت: ٢١٦هـ/٨٣١م) فحولة الشعراء، تحقيق: المستشرق تشارلس تورّي، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٠هـ /١٩٨٠م، ص١٩.

كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله؟»[١] وبهذا يتبين أن ما يفعله درمنغم ما هو إلا محاولة خفية لتشويه صورة الصحابي الجليل.

(ج) أبو هريرة رضي الله عنه.

لم يكتب درمنغم كثيرًا عن الصحابي الجليل أبي هريرة؛ لكنه في قوله اليسير سار للأسف على نهج المستشرقين، بل وبعض كتاب المسلمين[٢] الذين يطعنون في الصحابي باتهامات باطلة معروفة فقال: "وأبو هريرة أكثر حبًا للاستطلاع، وكان أبو هريرة الأفاق الخفيف الظل من قبيلة دوس الضعيفة الشأن باليمن .... اشتهر الضيفن ـ الطفيلي ـ بعدد ما رواه من الأحاديث المشكوك فيها"[٣]

وإذا كان درمنغم اتهم أبا هريرة رضي الله عنه بأنه أفاق، وأن أحاديثه مشكوك فيها، إلا أنه ناقض نفسه فقال: وكان أبو هريرة يتبع النبي حيثما ذهب فيتسقط أقواله ويلاحظ أدق حركاته"[٤] فإذا كان أبو هريرة رفيقا للنبي في كل أموره، فهل يصح أن يطلق عليه بأنه أفاق وكذاب، وأن أحاديثه مشكوكٌ فيها، وإذا كان الأمر كذلك فهل سيرضى الرعيل الأول من صحابته هذا الأمر؟!!.

وقد كفانا الكثير من العلماء مؤنة الرد والدفاع عن الصحابي الجليل؛ لأن

(١)الإمام مسلم: صحيح مسلم، كتاب شعب الإيمان، باب: كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج، ج١، ص١١٢.

(٢) انظر كتاب محمود أبو رية (أضواء على السنة المحمدية) الذي طعن في الصحابي الجليل أبو هريرة وروايته للحديث عن رسولنا ﷺ.

(٣) إميل درمنغم: حياة محمد ص١٥٣.

(٤) إميل درمنغم: حياة محمد ص١٥٣.

الواقع يقول: إن أبا هريرة أحفظ الصحابة وأكثرهم رواية للحديث عن رسول الله ﷺ، وهو ما شهد به العدول من الصحابة وجموع المسلمين إلى وقتنا هذا، والطعن فيه وفي غيره من رواة الحديث عن رسولنا ﷺ ما هو إلا محاولة للطعن في سنته والتقليل من قدرها، وقد أورد الشيخ مصطفي السباعي[1] ـ رحمه الله ـ الرد على الدعاوى والافتراءات بصورة رائعة حول الصحابي الجليل، وبين أن المسلمين تناولوا أحاديثه بالقبول، وأن الجميع قد اتفق على حفظ أبي هريرة رضي الله عنه، وأن طعن البعض ما هو إلا محض كذب وافتراء، وهذا ما عليه ثقات المحدثين والمؤرخين.

(د) صفوان بن المعطل رضي الله عنه.

تحدث درمنغم عن حادثة الإفك وما ورد بشأنها وفي أثناء ذلك عرض للصحابي صفوان بن المعطل رضي الله عنه فذكر قول السيدة عائشة رضي الله عنها وأنها تقول "لقد سئل عن صفوان بن المعطل فوجدوه رجلا حصورا ما يأتي النساء"[2].

وما ذكره درمنغم ورد في العديد من كتب السيرة والتاريخ[3] وتلقفه درمنغم وأضافه في كتابه بدون تحقق، وهذا ما يجب على العلماء فعله حتى يخرجوا لنا سيرة لرسول الله وصحابته خالية من الشوائب والمعايب، وهذا الذي قيل إنما هو محاولة للطعن في رجولة أحد صحابة رسول الله ﷺ تدحضه الروايات الصحيحة القوية، فقد جاءت امرأة إلى النبي –ﷺ– فقالت: يا رسول الله، إن زوجي صفوان بن المعطل يضربني إذا صليت ويفطرني إذا صمت، ولا يصلي صلاة الفجر

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، المكتب الإسلامي: دمشق، سوريا، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص٢٩١ ـ٣٦٢.

(٢) إميل درمنغم: حياة محمد ص٢٧٦.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية ج٢، ص٣٠٦، الطبري: تاريخ الرسل ج٢، ص٦١٩.

حتى تطلع الشمس، قال: وصفوان عنده، قال: فسأله عما قالت، فقال: يا رسول الله، أما قولها يضربني إذا صليت، فإنها تقرأ بسورتين وقد نهيتها، قال: فقال: "لو كانت سورة واحدة لكفت الناس" وأما قولها يفطرني، فإنها تنطلق فتصوم وأنا رجل شاب فلا أصبر، فقال رسول الله ﷺ يومئذ: "لا تصوم امرأة إلا بإذن زوجها"، وأما قولها إني لا أصلي حتى تطلع الشمس، فإنا أهل بيت قد عرف لنا ذاك، لا نكاد نستيقظ حتى تطلع الشمس، قال: "فإذا استيقظت فصل"(١)

ولا تعارض بين الحديث السابق وبين قول صفوان حين بلغه الأمر: سبحان الله، والله ما كشفت كنف أنثى قط أي ما جامعتها في حرام أو زنا (٢).

ثم لو كان الصحابي بن المعطل حصورا، فلم أشيعت تلك الحادثة، ولما كان لها هذا الصدى الكبير، ولما هجاه حسان بن ثابت (٣)، ولما شهد له رسولنا ﷺ بالخير(٤) نافيا عنه هذا الأمر، فلا يصح إمعانًا في نفي الحادثة أن نعارض الأدلة الصحيحة ونتهم أحد الصحابة بهذا الاتهام.

(هـ) أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه.

لقد تعمد درمنغم في حديثه عن الصحابي أبي سفيان رضي الله عنه محاولة تشويه صورته وأنه ما دخل الإسلام إلا لاعتبارات تتعلق بتمكينه وآله فيما بعد فكان مما قاله: "والواقع أن أبا سفيان كان يتطور مع الأحوال، وكان يهيئ ما فيه نصر آله

(١) أبو داود: سنن أبي داود، ج٤، ص١١٩، وعلق عليه الأرناؤوط فقال: صحيح الإسناد، وعلق عليه الحاكم في المستدرك، فقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ج١، ص ٦٠٢.

(٢) ابن حجر: فتح الباري، ج٨، ص٤٦٢.

(٣) ابن هشام: السيرة النوية ج٢، ص٣٠٤، الذهبي: تاريخ الذهبي ج٢، ص٢٧٩، ٢٨٠.

(٤) الإمام البخاري: صحيح البخاري، كتاب: الشهادات، باب: إذا عدل رجل أحدا فقال لا نعلم إلا خيرا أو قال ما علمت إلا خيرا ، رقم الحديث،٢٤٩٤، ج٢، ص٩٣٢.

في المستقبل، وكان يفاوض سرًا في أمر تسليم مكة بعد قليل زمن، والواقع أن أبا سفيان قد رأى في محمد السيد السياسي الأعظم، كما رأى فيه خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، فأخذ يمهد السبيل للخضوع إليه(١)، كما ذكر أن إسلام أبي سفيان كان حسب ما تقتضيه مصلحته فقال درمنغم(٢):" وأبصر ما يقتضيه الحال فنطق بالشهادتين" كما قال(٣) "وكان أبو سفيان الناقص الإسلام يقول متحسرا ذهب زمن النبوة وجاء زمن القوة".

تحدث درمنغم عن أبي سفيان بخلفيات عدائه للإسلام، مع أن الإسلام يَجُبُّ ما قبله، فقد تهيأت نفسه للإسلام والدخول فيه، وحسن إسلامه ولم يكن في مخيلته آله أو قومه في المستقبل، ولم يفاوض سرا في أمر تسليم مكة، فالمشهور والمعروف والثابت في كتب السير أن أبا سفيان مر بجيوش المسلمين مع العباس عم النبي، وعلم أنه لا طاقة لقريش بالوقوف أمام تلك الجموع الحاشدة، فذهب إلى قومه وناداهم فقال: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به، فاعترضت عليه زوجه هند بنت عتبة، وأوغرت صدور القوم عليه بل وحدثتهم بقتله، فقال أبو سفيان ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، قالوا: قاتلك الله! وما تغني عنا دارك، قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد(٤).

---

(١)إميل درمنغم: حياة محمد ص٣٠٩.

(٢) حياة محمد ص٣١١.

(٣) حياة محمد ص٣٢٠.

(٤) ابن هشام: السيرة النوية ج٢، ص٤٠٤، ٤٠٥، الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم (ت/٣٦٠هـ/ ٩٧١م): المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، العراق، ط٢، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م، ج٨، ص٩.

فهل بعد هذا الحوار والشقاق بينه وبين زوجه نقول: إنه يعمل لمصلحة آله وقومه، ثم أي طمع لدى أبي سفيان وقد تأخر إسلامه وسبقه غيره في الأفضلية، ولذلك عندما تولى الصديق رضي الله عنه أمر الخلافة، جاء أبو سفيان إلى علي بن أبي طالب وقال له: أرضيتم أن يكون الأمر في بني تيم، فقال له: إن أمر الإسلام يختلف عن أمر الجاهلية(١)، فأبو سفيان لم يكن في مخيلته مصلحة له أو لأحد من آله، بل نظر إلى الأمر من وجه العرب القديمة، ومن بعض التقاليد التي ظلت راسخة فيه، والتي لا تقدح في الصحابي ولا تعيبه، والتي تقول: إن الأحق بنو هاشم في وراثة الخلافة، فبين علي رضي الله عنه اختلاف الأمر في الإسلام عن التقاليد الموروثة.

أما وصف أبي سفيان بأنه ناقص الإسلام، فهذا الكلام ينبغي أن نقف أمامه طويلًا، لأنه لا أساس له من الصحة، فرسول الله ﷺ ولاه على نجران(٢)، وهل كان النبي سيولي على الناس ناقص الإسلام أو من في نفسه شيء، أو من يعمل لمصلحته الخاصة؟!!.

بل إن ناقص الإسلام أرسله النبي ﷺ لهدم صنم اللات في الطائف (٣)، فلماذا يرسل النبي ناقص الإسلام؟! والعجيب أن درمنغم(٤) ذكر ذلك الأمر ولم يدرك أنه بذلك يناقض نفسه فقال:" وقد خضعت الطائف في نهاية الأمر فوجه النبي إليها أبا سفيان والمغيرة ابن شعبة ليقوما بهدم اللات وتجريد اللات من الحلي، فقاما بذلك".

(١) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ج٤، ص٣٦٠.
(٢) خليفة بن خياط: التاريخ ص٩٧، الطبري: تاريخ الرسل ج٣، ص٣٨١.
(٣) ابن هشام: السيرة النوية ج٢، ص٥٤١.
(٤) حياة محمد ص٣٢٤.

بل لك أيها القارئ الكريم أن تعاين أبا سفيان ودفاعه عن الإسلام حين خمدت الأصوات يوم معركة اليرموك سنة ٩هـ والمسلمون يقاتلون الروم، إذ به ينادي ويلهب حماس المسلمين ويقول: «يا نصر الله اقترب، يا نصر الله اقترب» وهو يقاتل تحت راية ابنه يزيد بن أبي سفيان [١].

إن من حسن إسلام أبي سفيان وخضوعه للإسلام، ما حدث حين جاء رجل من بني مخزوم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستعدي على أبي سفيان قائلا: إن أبا سفيان جار علي في أرضي، فحج عمر، ووقف على الحد، فقال لأبي سفيان: ضع العلامة هاهنا، فاعترض ابن حرب، فقال عمر: والله لتفعلن، وعلاه بالدرة وقال: " خذه لا أم لك من ها هنا فضعه ها هنا، فأخذه فوضعه فقال أبو سفيان: " اللهم لك الحمد الذي لم تمتني حتى أدخلت قلبي من الإسلام ما ذللتني به لعمر رضي الله عنه[٢]، فلو كان الأمر في الجاهلية لما قبل أبو سفيان بما حدث، ولو لم يدخل الإسلام قلبه لما قبل بتأديب عمر رضي الله عنه له.

مما سبق يتبين صحة إسلام أبي سفيان، وأن ما يقال في حقه بأنه ناقص الإسلام، أو أنه عمل لمجد أهله أو ما تفتضيه الظروف والأحوال أمر عار تمامًا عن الصحة، وينقصه البحث والأمانة العلمية والموضوعية التي يتشدق بها غالبية المستشرقين.

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: الجزء المتمم لطبقات ابن سعد [الطبقة الرابعة من الصحابة ممن أسلم عند فتح مكة وما بعد ذلك، ص٩٠، ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٤، ص١٦٨٠.

(٢) الفاكهي: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي(٢٧٢هـ/ ٨٨٥م) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر، بيروت،ط٢، ١٤١٤هـ، ج٣، ص٢٣٤، البلاذري: أنساب الأشراف ج٥، ص٩.

المبحث الخامس: آراء درمنغم في الخلاف بين المهاجرين والأنصار.

حين نستعرض آراء درمنغم حول الأنصار نجد أن الرجل يحاول أن يؤصل لفكرة الخلاف بين المهاجرين والأنصار وأن هذا الخلاف منذ القديم، فقال في بداية كتابه:" وكان الأوس والخزرج يهزؤون بقريش هزؤ إعجاب فيضحكون من كنزهم الذهب في بطونهم ومن طمعهم وبخلهم مع الغنى، وكان قريش مكة يسخرون من عرب يثرب الزراع فيضحكون من تثاقلهم ونهك البرداء لهم وتفوق اليهود عليهم"(١).

وحين حدثت الهجرة تحدث عن أن هناك خلافًا بين المهاجرين والأنصار فقال: "والأنصار فضلاً عن المنافقين لم يكونوا على وفاق دائم مع المهاجرين، وكان هذان الفريقان يشعران من ناحية أخرى باختلافهما عن الأعراب الذين هم أصعب منهم مراسًا، وكان العجب والاندفاع والنزق أظهر ما في الجميع، فكانت الأحكام والغنائم سبب نزاع دائم بينهم، فكان محمد يعالج ما يحدث بدعوتهم إلى كتاب الله وبما يبديه من الحنكة وحسن السياسة، وبما يرونه من نزاهته وزهده من القدوة(٢).

إن المتتبع لما ذكره درمنغم في مسألة السخرية أو التهكم الذي فعلته قريش أو الأوس والخزرج يجده لا يكاد يذكر، لأن العلاقة بين الطرفين في الغالب كانت تتسم بالأحلاف والمصاهرة، فمن ناحية الأحلاف احتاجت قريش أن تؤمن تجارتها، فقد كان سعد بن عبادة مجيرًا لجبير بن مطعم وغيره من سادات قريش في تجارتهم وعدم ظلمه ببلده يثرب(٣)، وكان سعد بن معاذ ينزل مكة عند أمية بن

(١) إميل درمنغم: حياة محمد ص١١.

(٢) إميل درمنغم: حياة محمد ص١٦١، ١٦٢.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٤٥٠، ابن كثير: البداية والنهاية ج٤، ص٤١١، ٤١٢.

خلف وينزل أمية بيثرب عند سعد بن معاذ(١)، ومن ناحية المصاهرة نجد أن هاشم بن عبد مناف تزوج من بني النجار، فهؤلاء القوم كانوا أخوال جد النبي عبد المطلب وظلت العلاقة طيبة بينهم(٢).

إن مما يحسب له حسابٌ كبيرٌ عند العرب مسألة القرابة بدليل ذهاب والدة الرسول السيدة آمنة بنت وهب برسول الله وهو ما زال في مرحلة الطفولة عند أخواله من بني النجار(٣)، وبذلك فمسألة السخرية لم توجد، ولو وجد شيئٌ من الاعتزاز والفخر، فقد كان من باب المفاضلة التي تحدث بين جميع العرب، ولم تدخل في باب السخرية والمعايب.

إن ما يدعيه درمنغم بشأن الخلافات التي يتحدث عنها بين المهاجرين والأنصار، لو نظر إلى القرآن الكريم الذي هو من أوثق بل أهم مصدر من مصادر السيرة النبوية سيجد أن كتاب الله ينسف هذا الأمر تمامًا، فالكثير من الآيات تتحدث عن العلاقة الوطيدة بين المهاجرين والأنصار وعن الألفة التي وضعها في قلوبهم فقال سبحانه مخاطبًا رسوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٢– ٦٣]، بل وصف الله المهاجرين والأنصار بالإيمان الحق فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

(١)الإمام البخاري: صحيح البخاري، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث، ٣٤٣٣، ج٣، ص١٣٢٨.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٢٤٨؛ سعيد حوى: الأساس في السنة وفقهها ـ السيرة النبوية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، ط٣، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، ج١، ص٣٨٠.

(٣) البيهقي: دلائل النبوة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م، ج١، ص١٨٨.

وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٧٤] وأثنى الله على المهاجرين والأنصار موضحا الحق تبارك وتعالي عظيم مكانتهم وقدرهم مبينًا إيثار الأنصار، لدرجة أنهم يتقاسمون أموالهم مع إخوانهم بطيب نفس قلّ أن يوجد مثله في تاريخ البشرية، فقال: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر: ٨ – ٩]

بل لك أيها القارئ الكريم أن تنظر إلى الأنصار حين أراد النبي أن يميزهم بأفضل ما فتح عليه من الأرض فأبوا وقالوا لا حاجة لنا بالدنيا(١)، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال "دعا النبي ﷺ الأنصار ليكتب لهم بالبحرين فقالوا: لا والله حتى تكتب لإخواننا من قريش بمثلها، فقال ذاك لهم ما شاء الله على ذلك يقولون له قال فإنكم سترون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني"(٢)، فالأنصار لم يرضوا بتلك الميزة دون إخوانهم من المهاجرين.

وبتلك الأدلة فقول درمنغم: أن الغنائم سبب اختلاف دائم بين المهاجرين والأنصار لا أساس له، فلم نسمع عن هذا الأمر إلا يوم حنين سنة ٨هـ الذي أعطى النبي أقواما يتألف قلوبهم أغلبهم ليس من المهاجرين بل من الطلقاء الذين عفا عنهم رسول الله ﷺ والقبائل العربية التي دخلت في الإسلام حديثا

(١)ابن حجر: فتح الباري، ج٨، ص٥١؛ محمد بن يوسف الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٥، ص٤٠٣.

(٢) الإمام البخاري: صحيح البخاري، كتاب: المزارعة، باب: كتابة القطائع، رقم الحديث،٢٢٤٨، ج٢، ص٨٣٨.

وما حدث من الأنصار إنما كانت مقالة لبعضهم ممن رأوا في تقسيم الغنائم تفضيل بعض المحاربين على بعض في مكاسب النصر مع أن الأنصار أسبق من هؤلاء في أمر الدفاع عن الدعوة، وهذا يقع من أكثر الناس في كل عصر، وفي كل مكان وزمان، وهذا المعنى مما يجده أصحاب الطبيعة البشرية في نفوسهم في مثل تلك الظروف والأحوال (١).

فليس غريبا أن تبقى بين بعض المسلين بقايا جاهلية، وأن يتفاوت الناس في التطهر من معاييرها الاجتماعية والسياسية، إذ كان من المسلمين سابقون إلى الإسلام أيام محنته ملأهم الإيمان، واستمتعوا بصحبة النبي ﷺ مدة مديدة تطهروا فيها وزكت نفوسهم، وكان منهم من دخله متأخرا لم يعايشوا النبي ﷺ فترة كافية للتطهر والتزكية من بقايا تلك الجاهلية(٢).

ثم إن العجب العجاب أن درمنغم يلمح لتلك الحادثة، ويحاول بها أن يبين أن هناك خلافًا بين المهاجرين والأنصار، فقد ذكرها بتفصيلاتها في نهاية كتابه، وذكر أنهم رضوا برسول الله قسما وحظا(٣).

فعندما وضح الالتباس وعرف الأنصار موقعهم من رسول الله ﷺ رضوا، أن يذهب الناس بالشاءِ والبعير، ويذهبون برسول اللهﷺ، فهو قرة عيونهم وهم قرة عينه، ومن أجل هذا مسحت هذه الموجدة وذابت والسعادة تغمرهم بهذه الغنيمة

(١) مصطفى السباعي: السيرة النبوية دروس وعبر، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص١٤٧.

(٢) محمد المختار الشنقيطي: الخلافات السياسية بين الصحابة، رسالة في مكانة الأشخاص وقدسية المبادئ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٣م، ص١٠٥، ١٠٦.

(٣)إميل درمنغم: حياة محمد ص٣٢٣، ٣٢٤.

الذي عز نظيرها[١].

وإذا كان الرجل يتحدث عن حوادث فردية معدودة في تاريخ هؤلاء الكرام، فلا يصح على الإطلاق أن يقال عنها أكثر من ذلك، فطبيعة البشر أنهم يختلفون والصحابة رضوان الله عليهم بشر ليسوا معصومين من الخطأ، وليست تلك ظاهرة تستحق التركيز والتلميح بأن هناك خلافًا بين المهاجرين والأنصار.

(١) منير الغضبان: المنهج الحركي للسيرة النبوية، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، ط٦، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م، ج٣، ص١٧١.

الخاتمة:

بعد هذا التطواف الذي دار حول آراء إميل درمنغم في كتابه حياة محمد، أسجل في الختام أهم ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات.

أولًا: النتائج.

١ـ بيان فضل الصحابة واحترامهم والعرفان بالجميل لهم، فهم حملة مشاعلالهداية إلى الأمة، لا يجوز بأي حال من الأحوال أن نهدر فضلهم ومكانتهم، لمجرد وقوع هفوة أو كبوة من أحد، فهم في نهاية المطاف بشر وليسوا معصومين.

٢ـ اتضح أن منهج درمنغم في تناول حياة النبي وصحابته فيه أخطاء منهجية كبيرة يسوقها للأسف دون حجج أو أدلة واضحة، ويعتمد فيها على الروايات الضعيفة والشاذة دون الصحيحة، كما أنه ينظر إلى الأحداث والوقائع التاريخية دون مراعاة الزمان والمكان التي حدثت فيه ويسوقها بمنظور اليوم، وقد وقع البحث ـ بتوفيق الله ـ على كثير من عيوب منهجية درمنغم، ورد عليه بخصوص الشبهات التي أثارها حول الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

٣ـ تحصين شباب الأمة من الأفكار التي تحاول أن تعبث بهم، وتنخر في المسلمات الصحيحة حول النبي الكريم ﷺ وصحابته، في ظل الانفتاح الكبير الذي حدث بين الشرق والغرب، ومحاولة التصدي لعملية الغزو الفكري، خاصة وأن الكثير ممن هم ملء السمع والبصر قد تأثر بفكر الاستشراق والمستشرقين.

٤ـ نستطيع أن نقول في النهاية، أن إميل درمنغم ليس من المستشرقين المتعصبين أو الكارهين أو الحاقدين على الإسلام ونبيه ﷺ، فبعض الأمور التي عرضها صحيحة ومنصفة، مع ذكره لتفصيلات دقيقة في بعض الأحيان، لكن الكثير من آرائه وتوجهاته تأثر بأقرانه من أهل الاستشراق، مما حدا به إلى الميل عن الصواب في الكثير من الأمور، ومما يجعل ما فعله قطاع المعاهد الأزهرية حين رفع الكتاب من مكتباته على درجة عالية من الحكمة والصواب.

ثانيًا: التوصيات.

١ـ أن هناك جزئياتٍ في كتاب حياة محمد لدرمنغم تحتاج إلى جهد بعض التخصصات العلمية لإخراج الإشكالات الباقية فيه، فعلى سبيل المثال جاء الفصل التاسع بعنوان (النصرانية والإسلام) تحدث الكاتب فيه عن طبيعة المسيح، والنزاعات المذهبية لدي النصارى، وهذا يحتاج إلى متخصص بعلم مقارنة الأديان، إلى جانب العديد من الافتراءات التي وضعها درمنغم حول النبيﷺ.

٢ـ الحاجة الماسة إلى مجابهة التحريف والتشويه الذي تبناه الاستشراق ليس في السيرة فحسب، ولكن في تاريخ وحضارة الأمة، عن طريق مشاريع علمية كبرى، تشرف عليها مؤسسات علمية لها مصداقيتها وأمانتها وانتشارها، وعندنا ـ بفضل الله ـ العديد من تلك المؤسسات منها، هيئة كبار العلماء، ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، فالمجهود الفردي مهما عظم لا يتساوى مع العمل المؤسسي.

هذه هي أهم النتائج والتوصيات التي خرج بها البحث، وهناك بعض النتائج الجزئية والفرعية الموجودة في ثنايا البحث.

وأخيراً: أسأل الله أن يجعل هذا العمل في ميزاني يوم الدين، وأن ينفع به طلاب العلم والباحثين، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وصلى الله على معلم الناس الخير.

ثبت المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

أولًا: المصادر.

ابـن الأثيـر: عـز الـدين أبـو الحسـن علـي بـن محمـد الشـيباني، (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م)

١ـ أسد الغابـة فـي معرفـة الصـحابة، تحقيـق: علـي محمـد معوض، عـادل أحمـد عبد الموجود، دار الكتب العلمية ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م.

٢ـ الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

ابن إسحاق: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (ت: ١٥١هـ/ ٧٦٨م).

٣ـ سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م.

الأصمعي: أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك (ت: ٢١٦هـ/٨٣١م)

٤ـ فحولة الشعراء، تحقيق: المستشرق تشارلس تورّي، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٠ هـ /١٩٨٠م

البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت:٢٥٦هـ/ ٨٧٠م)

٥ـ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، ١٤٠٧ هـ /١٩٨٧م.

البغوي: أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المَرْزُبان(ت:٣١٧هـ/ ٩٢٩م)

٦ـ معجم الصحابة، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان، الكويت، ط١، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م

البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، (ت: ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)
٧. أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ط١ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الخراساني، (ت: ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م)
٨ ـ دلائل النبوة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ/٨٩٢م)
٩ـ سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت،١٩٩٨م.
ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ/١٣٢٨م)
١٠ـ الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني وآخرون، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
١١ـ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦ هـ /١٩٨٦م.
ابـن الجـوزي: جمـال الـدين أبـو الفـرج عبـد الـرحمن بـن علـي، (ت: ٥٩٧هـ /١٢٠٠م)
١٢ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.
الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت: ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م)
١٣ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ط٤، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

الحاكم: محمد بن عبد الله النيسابوري (ت:٤٠٥هـ/ ١٠١٤م).
١٤ـ المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١ هـ/ ١٩٩٠م.
ابن حبان: أبو حاتم محمد بن حبان التميمي(٣٥٤هـ/ ٩٦٥م).
١٥ـ الثقات: دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ط١، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م
ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٩م)
١٦ـ الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ط١ – ١٤١٥هـ.
١٧ــ فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد القرطبي الظاهري(ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م)
١٨ـ جمهرة أنساب العرب، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
ابن حمدون: أبو المعالي محمد بن الحسن ، بهاء الدين البغدادي (ت: ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م).
١٩ـ التذكرة الحمدونية الناشر: دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ،
ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني (ت: ٢٤١هـ/ ٨٥٥م):
٢٠ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، وآخرين إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
خليفة بن خياط: أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني البصري (ت: ٢٤٠هـ/٨٥٤م):
٢١ـ تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة

الرسالة، دمشق، بيروت، ط٢، ١٣٩٧هـ،

أبو داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ/ ٨٨٩م)

٢٢ـ السنن، تحقيق: شعَيب الأرناؤوط وآخرين، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩م

الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، (ت٧٤٨هـ/١٣٤٨م).

٢٣ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م.

الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٤م)

٢٤ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مؤسسة الأعلمي، بيروت ط١ ،١٤١٢هـ

السخاوي: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن (ت: ٩٠٢هـ/١٤٩٧م)

٢٥ـ فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي، تحقيق: علي حسين علي، مكتبة السنة، مصر، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري (ت :٢٣٠هـ / ٨٤٥م).

٢٦ـ الطبقات الكبرى: تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٢٧ـ الجزء المتمم لطبقات ابن سعد [الطبقة الرابعة من الصحابة ممن أسلم عند فتح مكة وما بعد ذلك]، تحقيق:عبد العزيز عبد الله السلومي، مكتبة الصديق، الطائف، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ.

السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)

٢٨ـ تاريخ الخلفاء، تحقيق، حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٢٩ـ مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود، تحقيق: محمد شايب شريف، دار ابن

حزم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م
ابن أبي شيبة: أبو بكر، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان (ت: ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م).
٣٠ـ المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩/ ١٩٩٠م.
الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم (ت:٣٦٠هـ/ ٩٧١م)
٣١ـ المعجم الكبير تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، العراق، ط٢، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م.
الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد، (ت: ٣١٠هـ / ٩٢٢م)
٣٢ـ تاريخ الرسل والملوك تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط٤، د.ت.
ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي (ت: ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)
٣٣ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب: تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢م.
ابن عبد الحكم: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله المصري (ت: ٢٥٨هـ/ ٨٧١م)
٣٤ـ فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٥ هـ.
ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، (ت: ٥٧١هـ/ ١١٧٥م).
٣٥ـ تاريخ دمشق: تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عام النشر: ١٤١٥هـ –١٩٩٥م.
العيني: بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى (ت: ٨٥٥هـ/١٤٥١م)
٣٦ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
الفاكهي: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي (٢٧٢هـ/ ٨٨٥م).
٣٧ـ أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: عبد الملك عبد الله دهيش، دار

خضر، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ

القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري، (ت: ٦٧١هـ/١٢٧٢م)

٣٨ـ الجامع لأحكام القرآن= تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢/١٣٨٤هـ/١٩٦٤م،

ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ت: ٧٥١هـ/١٣٥٠م).

٣٩ـ جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة، الكويت، ط٢، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م.

٤٠ـ زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت، الكويت، ط٢٧، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م .

ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م):

٤١ـ تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

محب الدين الطبري: أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد (ت: ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م):

٤٢ـ الرياض النضرة في مناقب العشرة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت،

مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت:٢٦١هـ/٨٧٥م).

٤٣ـ الجامع الصحيح= صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، (ت: ٣٠٣هـ/ ٩١٥م)

٤٤ـ السنن الصغرى تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٦ / ١٩٨٦.

ابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت: ٢١٣هـ/٨٢٨م)

٤٥ـ السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ -١٩٥٥م.

الهيثمي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت: ٨٠٧هـ/١٤٠٥م)

٤٦ـ مجمع الزوائد، ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

الواقدي: محمد بن عمر بن واقد السهمي، المدني، أبو عبد الله، (ت: ٢٠٧هـ/ ٨٢٣م).

٤٧ـ المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

ثانيًا: المراجع:

أحمد مختار عبد الحميد:

٤٨ـ معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب ط١، ١٤٢٩ هـ -٢٠٠٨ م.

أكرم ضياء العمري:

٤٩ـ موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، كلية الدعوة، د.ط، د.ت

حسين حسيني معدي:

٥٠ـ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في عيون غربية منصفة، دار الكتاب العربي، دمشق، ط١، ١٤١٩هـ

رياض بن حمد العمري:

٥١ـ مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي، عرض وتقد في ضوء العقيدة الإسلامية، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جده، ط١، ٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

الزركلي: خير الدين بن محمود فارس الدمشقي(١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)

٥٢ـ الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢ م.

ساسي سالم الحاج:

٥٣ـ الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، دار المداد الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٢م.

سعيد حوى:

٥٤ـ الأساس في السنة وفقهها ـ السيرة النبوية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، ط٣، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

شوقي أبو خليل:

٥٥ـ الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٥م.

عبد الرحمن بدوي:

٥٦ـ موسوعة المستشرقين دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان، ط٣، ١٩٩٣م.

عماد الدين خليل:

٥٧ـ المستشرقون والسيرة النبوية، دار ابن كثير للطباعة والنشر، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ.

محمد حسين هيكل.

٥٨ـ حياة محمد، دار المعارف، مصر، ط١٤، د.ت.

محمد رشيد رضا:

٥٩ـ الوحي المحمدي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

محمد أبو شهبة:

٦٠ـ الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة، الدار السلفية لنشر العلم، مصر، ط٤، ١٤٠٨هـ.

٦١ـ السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، دار القلم، دمشق، ط٨، ١٤٢٧هـ.

محمد ماهر حمادة:

٦٢ـ مراجع مختارة عن حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، دار العلوم للطباعة

والنشر، الرياض، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

محمد المختار الشنقيطي:

٦٣ـ الخلافات السياسية بين الصحابة، رسالة في مكانة الأشخاص وقدسية المبادئ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٣م.

محمد بن يوسف الصالحي (ت: ٩٤٢هـ/١٥٣٥م).

٦٤ـ سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م.

مصطفى السباعي:

٦٥ـ السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، المكتب الإسلامي: دمشق، سوريا، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

٦٦ـ السيرة النبوية دروس وعبر، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م

منير الغضبان:

٦٧ـ المنهج الحركي للسيرة النبوية، مكتبة المنار، الأردن، ط٦، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠م.

موسى شاهين لاشين:

٦٨ـ فتح المنعم شرح صحيح مسلم، دار الشروق،١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢م.

نجيب العقيقي:

٦٩ـ المستشرقون، الناشر: دار المعارف، مصر، ١٩٦٥م.

يحيى مراد:

٧٠ـ معجم أسماء المستشرقين، الناشر: دار كتب عربية، د.ط، د.ت.

ثالثًا: الكتب المعربة.

إميل درمنغم:

٧١ـ حياة محمد، ترجمة محمد عادل زعيتر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر

ضمن سلسلة (ذاكرة الكتابة) ط٢، ٢٠٠٩م.

مونتجمري وات:

٧٢ـ محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مكة، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، راجع الكتاب وعلق عليه: الدكتور أحمد الشلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٥هـ.

رابعًا: الأبحاث العلمية:

عادل النصراوي:

٧٣ـ أساسيات فهم النص القرآني ومصادر دراسته عند المستشرقين، بحث منشور بمجلة دراسات استشراقية، الصادرة عن المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، النجف العراق، عدد٧، ٢٠١٦م.

ميثاق عبيس حسين:

٧٤ـ مكة في ضوء كتاب حياة محمد للمستشرق الفرنسي أميل درمنغم دراسة نقدية، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، جامعة بابل، عدد١، مجلد ١٢، ٢٠٢٢م.

نزار ناجي محمد:

٧٥ـ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في الفكر الاستشراقي إميل درمنغم وكتابه حياة محمد انموذجًا، مجلة مراس، كلية العلوم الإسلامية، جامعة وارث الأنبياء، كربلاء، عدد٣، ٢٠٢٢م.

يحيى جبر:

٧٦ـ عادل زعيتر وفن الترجمة (بمناسبة ٤٠سنة على رحليه)، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، عدد١٢، ١٩٩٦م.

يحيى جبر، وأحمد عبيد:

٧٧ـ تجربة عادل زعيتر في تعريب الفكر الفرنسي، ضمن كتاب مؤتمر "الواقع اللغوي في فلسطين"، مطبوعات جامعة النجاح الوطنية بنابلس، ٢٠٠٦م.